دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department
Public Relation & Media Dept. إدارة العـلاقات العـامة والإعـلام

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

من المحرر

العبقرية والنبوغ

ظاهرةَ الطفلِ الموهوب لفتتْ نظر المفكرين والمربين منذ أقدم العصور، وحاولَ البعض أن يقدم تفسيراتٍ شتى لهذه الظاهرة، كما أسست مصطلحات للدلالة عنها؛ كالعبقرية والنبوغ والإبداع.

وفي الواقع أن الموهوب يختلفُ عن المبدع. فالموهوب هو الذي يملك قدرةً عقلية عالية، أما المبدع فيتسم بالإنجاز الجديد الأصيل. وينظر علماء النفس في أثناء تعاملهم مع الموهوبين إلى المستقبل، في حين ينظرون إلى الماضي في أثناء تعاملهم مع المبدعين، وكأنهم في حال الموهوبين يضعون الإعداد والرعاية والتوجيه نصب أعينهم، كي يتمكنوا من الاستفادة المستقبلية من هؤلاء الموهوبين.

فالأطفالُ الموهوبون ذخيرةٌ يجب أن تصان، ولا يجوز أن تهمل، فهم القوةُ التي تدفع بالبشرية إلى الأمام، وهم القلم الذي يكتب التاريخ، وهم وديعةُ الوطن وثروته.

محمد توفيق أحمد

الـرؤيـة

ثقافة إسلامية وسطية

الرسـالة

نشر الثقافة الإسلامية وترسيخ الهوية الوطنية من خلال رعاية المساجد والعناية بالقرآن الكريم والتراث الإسلامي وإصدار الفتاوى والبحوث وتنمية العمل الخيري بمنهج وسطي بموارد بشرية متميزة ووفق أحدث النظم التقنية

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري
ص.ب 3135 دبي - هاتف: 6087513 - 04

الضياء
مجلة إسلامية ثقافية اجتماعية تصدر عن دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
العدد ١١١ مارس - ٢٠٠٩م - ربيع الأول ١٤٣٠هـ

المشرف العام
د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني
المدير العام لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري

رئيس التحرير
سعيد خميس الرحومي

مدير التحرير
يوسف سعد البوسميط

هيئة التحرير
يوسف الحمادي

تنفيذي التحرير
محمد توفيق أحمد

التصميم والإخراج الفني
جمال الدين حلوم

صف وطباعة
كامل خالد حداد

مصور
خادم حسين

كلمة العدد

الثقافة الإسلامية وخصوصيتها

رغم تجدد الثقافات وتنوعها يبقى للثقافة الإسلامية خصوصيتها لأنها جاءت في إطار من الدقة المتناهية والمستندة على أهم عناصر بناء الحضارات.

إن الثقافة الإسلامية جاءت في لحظة كانت للحضارات دول وممالك من فارسية ورومانية وصينية ومع هذا استطاعت أن تختط لها طريقا مميزاً.

ومن محاسن هذه الثقافة الإسلامية أنها لم تصادم تلك الثقافات القائمة بل تأقلمت وتكيفت بما لا يتعارض مع أهم مقوماتها ألا وهو الفكر والمعتقد. لأن هذا عنصر من عناصر الدعوة إلى الله تعالى فالثقافة الإسلامية واحدة من الثقافات التي سوف تبقى كرافد من روافد بناء الفرد والمجتمع والأمم حيث إنها ما تركت بابا من أبواب الحياة الدنيوية والأخروية إلا وطرحته. وما غفلت عن عنصر من عناصر بناء الكون إلا وأصلته.

ولنا أن نعود على ما طرحناه في بداية هذه المقدمة بأن الثقافة الإسلامية استقت مكنوناتها ومخزوناتها من قرآن ربنا سبحانه وتعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وأنقى ما قدمه العرب من فنون الثقافة وأبوابها ولتعتصر رحيق الأزهار اليانعة من ثقافات الغرب والشرق وهذا سر استمراريتها وتدفق معلوماتها ومن اوعية حفظ هذه الثقافة أنها استندت إلى أهم لغة ألا وهي لغة أهل الجنة لغة القرآن الكريم اللغة العربية وهذه اللغة وعاء يتسع ويستوعب كل ما تقدمه الحضارة إلى قيام الساعة ومن واجب كل مسلم أن يكون على قدر المسؤولية للحفاظ على هذه الثقافة من خلال المحافظة على أصولها. وأن يكون رافداً لكل جوانبها. ومن المجحف في حقها أن نستقي ثقافاتنا من مصادر لا تمت إلى تلك الأصول. ومن الواجب أن نعتز بهذه الثقافة في زمن الانطواء والانزواء لأننا متى ما عشنا هذه الثقافة قلبا وقالباً سوف نبرهن على أن هذه الثقافة هي من ثوابت استمرارية حياتنا والنهوض بمستقبلنا.

د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني
المشرف العام

4 البغتة

14 العنكبوت.. قدرات .. تتفوق على بطل هوليود

20 الصيرفة الإسلامية

28 الوسواس القهري عند الأطفال

25 صلاح الفتوى والدور الحضاري للفقيه المصلح

32 أديـب العلماء وعالـم الأدبـاء

36 القرآن الكريم وتأثيره على وظائف أعضاء الجسم البشري

40 فضل الزاد حل إسلامي لأزمة الغذاء

44 إطلالة على الإعجاز في القرآن والسنة

49 الموهبة الثقافية عند الأطفال

52 تولي المرأة الإفتاء

54 سعادة الأسرة في القرآن الكريم

57 نافذة على العالم الاقتصادي «التحدي»

10 التربية البيئية في الإسلام مفهومها .. أهدافها

إن تفاقم المشكلات البيئية في العالم أجمع وما ترتب عليها من مخاطر تهدد كل الكائنات على السواء أصبح من الأمور التي تستوجب من الجميع المشاركة الفاعلة في مواجهة تلك المشكلات البيئية سواء أكانت مشكلات بيئية على المستوى المادي ...

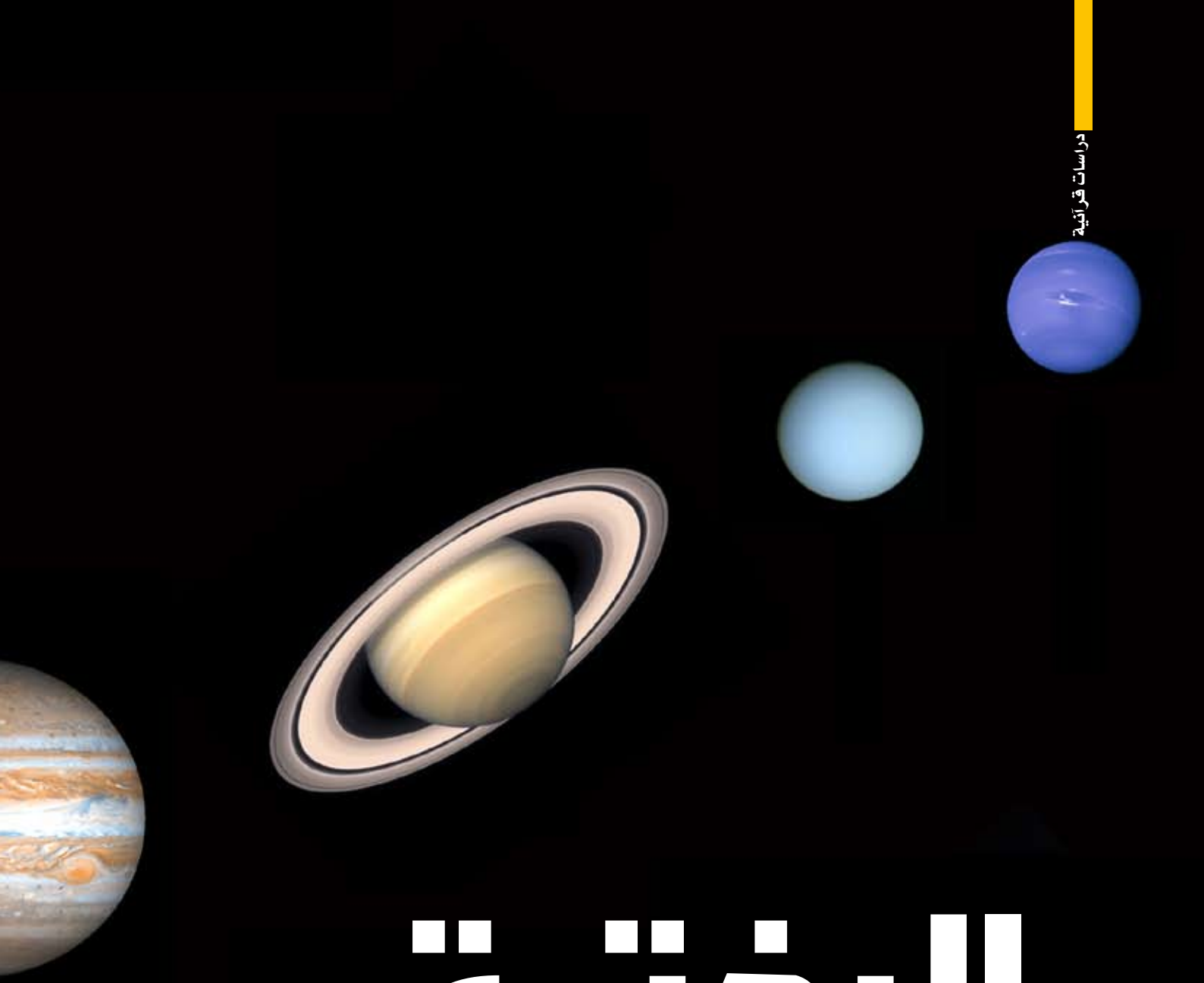

البغتة

إعداد: الربان قاسم لاشين

• عالم وباحث في علوم الفضاء.
• له العديد من الدراسات الإسلامية المرتبطة في الفضاء.
• محاضر في الجامعات الإسلامية والعربية.
• مدير القبة السماوية بالشارقة.

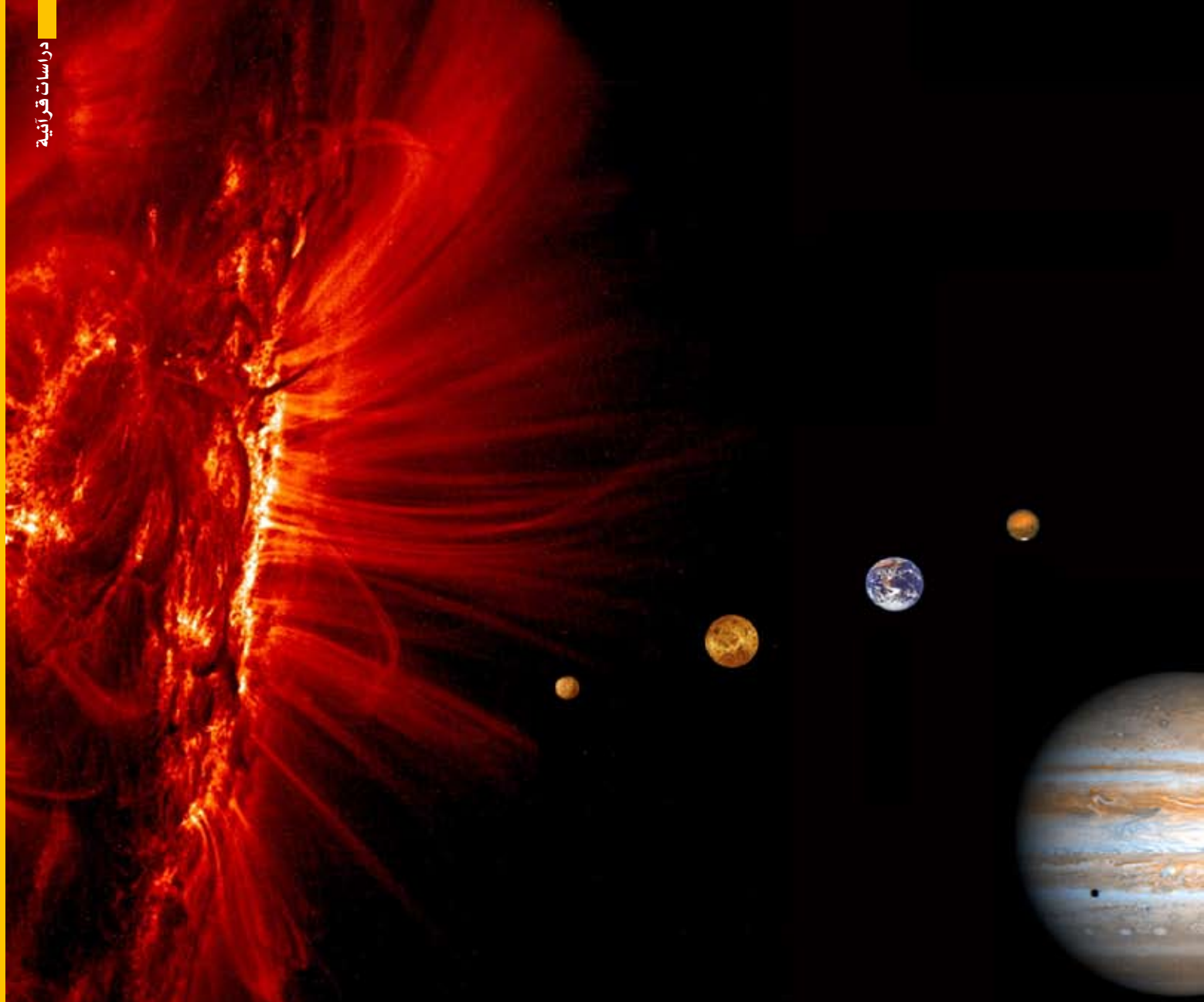

الكون العظيم:

لم يخلق الله الكريم هذا الكون العظيم بغتة بل خلقه في ستة أيام وهو ما أشارت إليه الآية ٥٩ من سورة الفرقان ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ صدق الله العظيم.

والله القوي كان قادرا على خلق هذا الكون العظيم بأصغر كلمة تحمل الأمر الإلهي وهي (كن) (فيكون) بما أمر به الله تعالى فهو القادر على كل شيء ولكنه أراد أن يتم خلقه في هذه الأيام الستة لحكمة لا يعلمها إلا هو، وإن كان بعض الفقهاء يقولون لنتعلم الصبر فيما نفعل وأن من أسماء الله الحسنى الصبور فتكون الإشارة الأولى إلى هذا الخلق هو الصبر، وينتهي بنا العلم بإن الله أعلم، وبحث العلماء في طول اليوم من أيام خلق الله ليصلوا إلى قرار أن طول اليوم ليس من أيامنا هذه التي نقيسها بالدورة المحورية لكوكب الأرض حول نفسه بل اليوم من أيام الله تعالى والذي لا نعرف مداه ومدته إلى يومنا هذا، فهو على سبيل الذكر يختلف اليوم داخل المجموعة الشمسية اختلافا جوهريا فطول اليوم على كوكب الزهرة ٢٤٣ يوما، وطول اليوم على كوكب المشتري ١١ ساعة، وطول اليوم على بلوتو آخر كواكب المجموعة الشمسية يساوى ٦,٥ أيام أرضية واليوم على القمر ٢٧,٣ يوماً أرضياً وكذلك يختلف طول السنة ولكن أكبرها السنة الكونية وهي السنة التي تدور فيها الشمس مع عائلتها من كواكب ونيازك ومذنبات وأقمار في سنة طولها ٢٢٥ مليون سنة حول نواة مجرة درب التبانة التي ننتمي إليها، ونصل في النهاية إلى أننا

أقر علماء الأرصاد الجومائية أن قوة الرياح قد زادت في شدتها عما سبق خلال الخمسين سنة الأخيرة من الرصد المستمر

نجهل طول اليوم من أيام الخلق، فالعلم ما زال قاصرا حتى في تحديد بداية الكون وما جهله العلماء أنه قد يكون من ١٥ مليار سنة، وآخرون يقولون بل من١٠ مليارات سنة، وكل ما لديهم من شواهد تكاد تكون قريبة للحقيقة وهي أن العمر الافتراضي للأرض ٤٥٠٠ مليون سنة وأن الشمس خلقت قبلها بحوالي ٥٠٠ مليون سنة أي أن عمرها الافتراضي الآن ٥ آلاف مليون سنة وأن الشمس الآن في قمة شبابها أو يبقى لها حسب تقدير العلماء ٥ آلاف مليون سنة أخرى ثم تتحول إلى عملاق أحمر ثم إلى قزم أبيض ثم تتكور وتنتهي أي تموت مثل أي شيء مقدر له الموت وهو الحقيقة الوحيدة التي يعلمها جميع العلماء باختلاف عقائدهم، ولا يبقى في النهاية الا وجه الله ذو الجلال والإكرام وهو ما أشارت اليه الآية ٨٨ من سورة القصص ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ صدق الله العظيم.

ونرى أيضا في هذه الأيام صورة أخرى من صور القيامة وهي الطوفان الذي يسيطر على كوكب الأرض بدءا من اليابان شرقا مارا بخط عرض متعرج ليمر على جميع دول العالم ولا يفرق بين دول نامية أمثال بنجلاديش ودول كبرى أمثال الولايات المتحدة وقد يأتي الطوفان المزدوج وهو أقوى أنواع الطوفان حيث يأتي الماء فيه من جوف الأرض وماء آخر من السماء الدنيا ويلتقى الماءان على تحطيم الحضارات وقد مر ذلك علينا

كلمة بغتة

أفادت قواميس اللغة العربية أن كلمة بغتة تعني فجأة ولكننا سنجدها في كتاب الله الكريم تحمل صفة ليوم قيام الساعة وهو ما أشارت إليه الآية ١٨٧ من سورة الأعراف ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة﴾ صدق الله العظيم.

ورغم إننا نرى في أيامنا هذه الصور الصغرى لقيام الساعة ولكننا لا ندري إن كانت صغرى ثم تتحول بغتة أي فجأة إلى كبرى، فعلى سبيل الذكر نسمع ونشاهد يوميا الزلازل تمر علينا في مواقع متفرقة من كوكب الأرض ولكنها تمر دون الزلزلة الكبرى فشواهد الزلزلة الكبرى تجعل عاليها سافلها فإذا بقي أحد تمكن من الهروب بعيدا عن شقوق الأرض التي تبتلع ما فوقها فستلاحقه حجارة من سجيل لتتراكم عليه وتنتهي حياته وهذه صورة لقيامة قوم لوط فلم ينج منها سوى سيدنا لوط والذين آمنوا معه فقط وهو ما أشارت إليه الآية ٨٢ من سورة هود ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾ صدق الله العظيم.

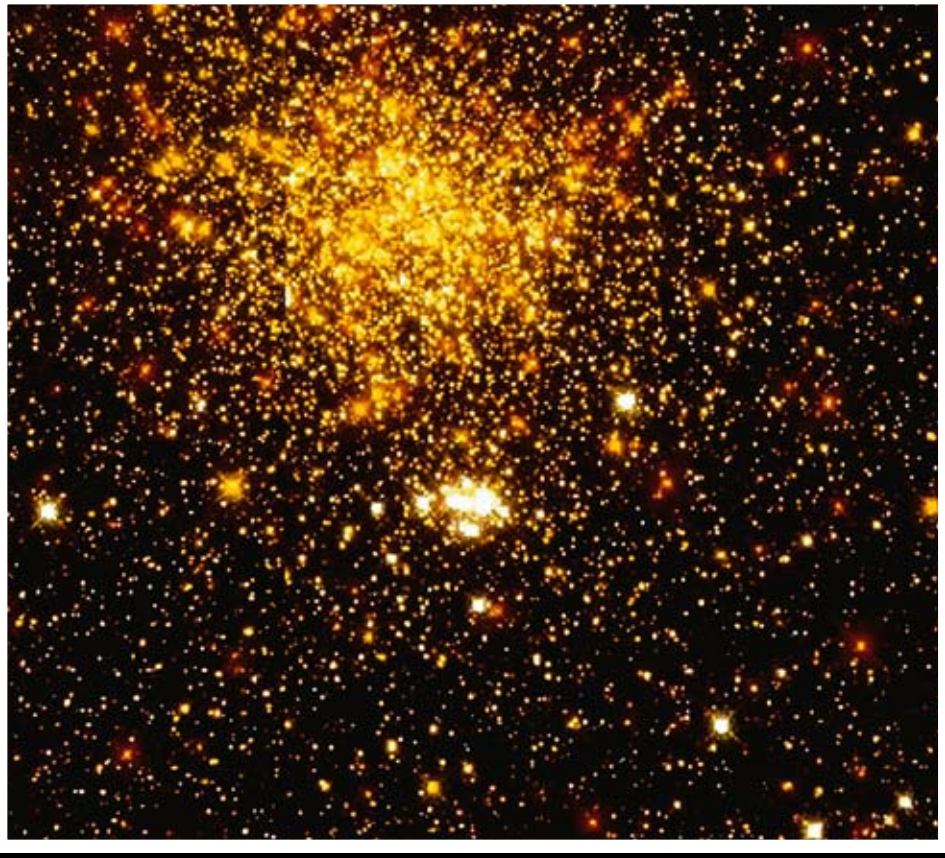

ويعلم علماء الأرصاد الجوية أن طبقة الأيونسفير وهي الطبقة الرابعة من الغلاف الجوى هي طبقة متأينة وبها كهرباء تعد بملايين من الفولتات تأتمر بأمر الله

في طوفان سيدنا نوح الذي بنى سفينته أمام أعين الله جل وعلا كما أشارت إلى ذلك الآية ٣٧ من سورة هود ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ وكانت سفينة سيدنا نوح هي الأقوى من الطوفان المزدوج فقد بناها بوحي من الله واستخدم في بنائها قانون الطفو الذي اكتشفه فيما بعد العلامة أرشميدس علما بأن هذا القانون خلقه الله العلي القدير لتعيش به الأسماك وجميع الأحياء المائية وبهذا القانون يطفو الثلج فوق مياه البحار ولو لم يكن هذا القانون لسقط الثلج إلى قاع البحار فتجمدت الأسماك وماتت ولكنه الله مدبر الكون وهو رب العالمين.

تتابع البغتة

أقر علماء الأرصاد الجومائية أن قوة الرياح قد زادت في شدتها عما سبق خلال الخمسين سنة الأخيرة من الرصد المستمر حتى أن مقياس بيفورت الذي تسجل عليه قوة الرياح والتي تنتهي بأقصى قوة هو ١٧ بيفورت أي ما يقابل سرعة للرياح ١٢٠مقدارها ميلاً ساعة لم تعد تناسب الشدة التي عليها الرياح مع إطلالة القرن الواحد والعشرين وان كلمة إعصار لم تعد تعبر عن الواقع فالرياح هي الذاريات والتي أقسم الله تعالى بها في الآية الأولى من سورة الذاريات (والذاريات ذروا) صدق الله العظيم. فقد زادت حدة وشدة وقوة الذاريات بحيث لا تبقي ولا تذر على وجه الأرض من جميع الخلائق وإن جميع أجهزة الأرصاد فشلت في تحديد مسارها أو اتجاهها بما في ذلك أقمار الأرصاد

صعق من في السموات والأرض يصدر بأصغر كلمة وهي كن فيكون

الجوية وانتهوا إلى أن هجوم الرياح يأتي بغتة ولكن الله العظيم أشار في القرآن الكريم لما حدث إلى قوم عاد الذين استكبروا في البلاد وتباهوا بأنهم أشد قوة من كل ما حولهم ونسوا قوة الرياح التي أبادتهم عن آخرهم إلا من آمن مع سيدنا هود عليه السلام. وهو ما أشارت إليه الآية ٦ في سورة الحاقة ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ صدق الله العظيم. وأصبحت الرياح في هجومها على الخلائق بكوكب الأرض صورة صغرى من الصور الكبرى ليوم القيامة فهي تسحق وتقتل وتدمر كل ما هو أمامها ولا هروب منها لأن أيديها تطول ما في السماء الدنيا وما في قاع المحيط بالتيارات المائية الأفقية والرأسية ثم صورة أخرى تأتي إلينا من السماء بغتة وهي صورة الصواعق فإنها تبدأ بالبرق وهي بشير الخير في أولها لان هذا يعني أن المطر قادم إلينا ليحيي الأرض ويحيي كل شيء ولكن هذا البرق يخفي في طياته الصواعق التي تأتي بغتة ليصيب بها الله تعالى من يشاء كما جاء في سورة الرعد الآية ١٣ ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾ صدق الله العظيم.

آية النهار تهل بتدرج بديع ما بين الخط الأبيض والخيط الأسود من الفجر

ويعلم علماء الأرصاد الجوية أن طبقة الأيونسفير وهي الطبقة الرابعة من الغلاف الجوى هي طبقة متأينة وبها كهرباء تعد بملايين من الفولتات تأتمر بأمر الله فإذا أراد الله صعق من في السموات والأرض فالأمر يصدر بأصغر كلمة وهي كن فيكون جميع خلق الله جاثمين وقد سبقت هذه الصورة في تاريخ الأمم الغابرة.

الشفق والغسق

إذا نظرنا إلى آية النهار كيف تهل علينا بضوء الشمس فإنه يتدرج ما بين الخيط الأبيض والخيط الأسود من الفجر تسلسل هادئ فينسلخ النهار من ظلمة الليل بالشفق الفلكي وهو الطرف الأول للنهار لينقل بعدها إلى الشفق البحري حيث يتحول الظلام الأسود الدامس إلى اللون الأزرق القاتم ثم الأزرق الفاتح ثم يبدأ الشفق المدني ليبدأ باللون الأحمر

متدرجا إلى الأصفر ثم إلى النهار الأبيض ومع هذا التدرج من ألوان الضوء تكون الطيور قد بدأت معها موسيقى الصباح الطبيعية بتغريد هذه الطيور ومع صياح الديك معلنا بداية الفجر فيهم المسلم إلى الصلاة في محرابه وطلب العون من الله تعالى أما الكافر فالشيطان رفيقه يختم على قلبه ويغرقه في أحلام الشر مما يجعله لا يقوم من نومه إلا لطلب حقه في الأرزاق والله يعطيه كما جاء في الحديث القدسي «يا ابن آدم لي عليك فريضة ولك علي رزقك فإن خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك» صدق الله العظيم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبهذا التسلسل الرائع العظيم في الانتقال من جوف الليل إلى النهار المبصر بعد المرور على حالة تدرج الضوء تجعل جميع الخلائق في حالة هدوء لاستقبال يومها الجديد، أما لو حدث وجاء النهار بغتة أي فجأة بعد ظلام دامس فيستيقظ الناس صرعى على الأرض وهذا ما يحدث في معسكرات التعذيب لبني البشر فبعد أن يوضع الإنسان في زنزانة معتمة ثلاثة أيام يخرج فجأة إلى ضوء النهار ليصدم بهذا الانتقال الرهيب من حالة الإعتام إلى حالة الضوء الشديد فهذا أحد أنواع التعذيب الشديد ولكن الله عز وجل لا يريد العذاب للناس على اختلاف عقائدهم بل يتساوى الجميع عند نومهم ويتساوى الجميع عند استيقاظهم ولكنهم لا يتساوون عند موتهم حيث يبدأ الحساب من القبر إلى يوم الحشر ويتسلسل نفس النظام عند إقبال آية الليل فإن الظلام لا يأتي بغتة ولكن يأتي بنظام هادئ حيث يلي غروب الشمس الشفق المدني وهو الضوء الخافت الذي يسقط على مباني المدينة ليظهرها مجسمة ولهذا سمي بالشفق المدني ثم ينتقل إلى الشفق البحري وهو الضوء الأقل خفوتا ويظهر فيه الخط الفاصل بين السماء وسطح البحر ولهذا أطلق عليه الشفق البحري ثم ينتقل بعد ذلك إلى الشفق الفلكي الذي تظهر فيه السماء وقد امتلأت بالنجوم والكواكب والشهب والقمر المنير فتكون صفحة الفلك كاملة حيث تبدأ عندها صلاة العشاء للمؤمنين ويبدأ عندها الفساد للكافرين وأتباع الشياطين وتنتهي حالة الضوء بالغسق الذي هو أول ظلمة الليل حيث يبدأ بعدها جوف الليل ليقوم المؤمن إلى طلب العون من الله والاستغفار إلى الله تكون آخر كلماته ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ صدق الله العظيم.

الشفق البحري هو الضوء الأقل خفوتا ويظهر فيه الخط الفاصل بين السماء وسطح البحر

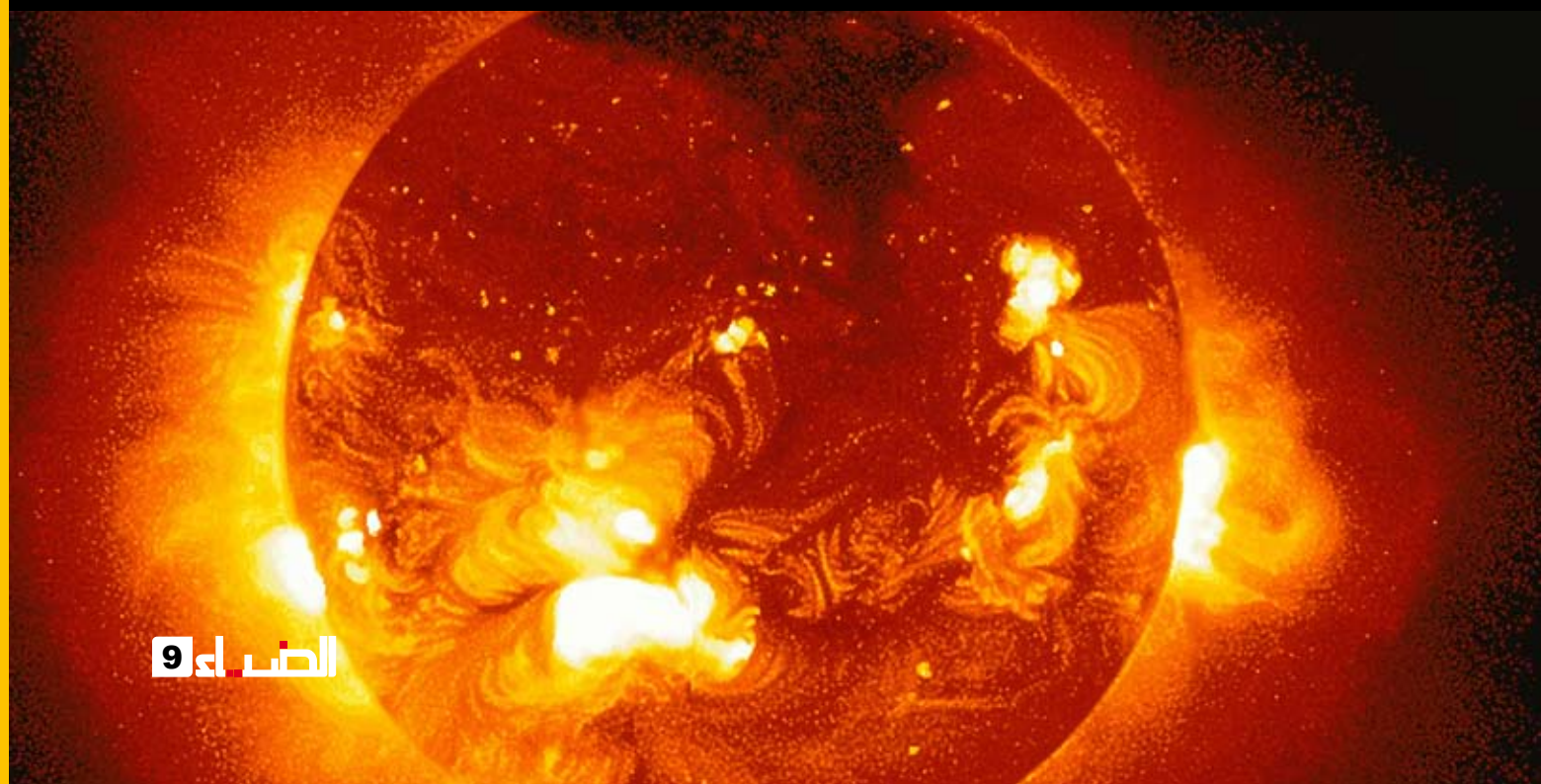

التربية البيئية في الإسلام

مفهومها .. أهدافها

د. صلاح عبد السميع

• استاذ بكلية التربية بجامعة حلوان.
• ناشط في شؤون البيئة.

إن تفاقم المشكلات البيئية في العالم أجمع وما ترتب عليها من مخاطر تهدد كل الكائنات على السواء أصبح من الأمور التي تستوجب من الجميع المشاركة الفاعلة في مواجهة تلك المشكلات البيئية سواء أكانت مشكلات بيئية على المستوى المادي (تلوث الهواء - تلوث الماء - التلوث الإشعاعي - التلوث الضوضائي - تلوث التربة - تلوث الغذاء ...الخ) أم مشكلات معنوية (تلوث خلقي - تلوث ثقافي - تلوث سياسي - تلوث اجتماعي ...الخ) ومع تسليمنا بأن النمط الثاني (التلوث المعنوي) يعتبر الأساس بل والأخطر على البيئة من كل الأنواع الأخرى، بل ويستوجب اهتمام خاص من كل الجهات المعنية على مستوى الحكومات أو مستوى الهيئات الرسمية وغير الرسمية.

وإذا كانت التربية تعد الأداة ذات الأثر بعيد المدى في تنشئة وإعداد الأجيال إعدادا تربويا يتفق والقيم الأصيلة، ويؤصل لدى الأجيال مفاهيم خلقية ، واجتماعية تحض على احترام البيئة وتقديرها، مما أعطى المؤسسات التربوية (المدارس ، والجامعات ، والمساجد ، والنوادي ...الخ) دورا بارزا في تحقيق هذا الهدف الأسمى .

ولعل الواقع الذي نحياه يملى علينا من المشكلات البيئية بأبعادها (المادية، والمعنوية) ما يجعل المؤسسات التربوية عاجزة عن القيام بمهامها وقد يرجع السبب في رأينا إلى عدم وجود منهج واضح وخطة واضحة ذات أهداف يسهل تحقيقها ، وكذلك غياب مفهوم التربية البيئية لدى تلك المؤسسات.

وفى ضوء ما سبق يمكن تعريف التربية البيئية في الإسلام بأنها :

(النشاط الإنساني الذي يقوم بتوعية الأفراد بالبيئة وبالعلاقات القائمة بين مكوناتها ، وبتكوين القيم والمهارات البيئية وتنميتها على أساس من مبادئ الإسلام وتصوراته عن الغاية التي من أجلها خلق الإنسان ، ومطالب التقدم الإنساني المتوازن).

وفى ضوء هذا التعريف للتربية البيئية من منظور إسلامي يجب أن يكون هناك تفاعل إيجابي بين الإنسان والبيئة، وأن يكون ذلك التفاعل شاملا ولا يقتصر على زمان معين أو مكان معين، وليصبح جهد الإنسان موحدا وموظفا توظيفا حضاريا وتاريخيا في ضوء العقيدة الإسلامية.

وتتضح حاجتنا الماسة إلى وجود التربية البيئية بصورة تطبيقية وليست نظرية في عصرنا الحالي، خاصة إذا تعرفنا على مظاهر سوء استخدام البيئة في العالم، ونذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر :

في المؤتمر العالمي الثاني للأمم المتحدة حول البيئة والتنمية عام ١٩٩٢م والذي عقد في ريودي جانيرو في البرازيل، اجتمع ثلاثون ألف مشارك بما فيهم مئة زعيم ليواجهوا مجموعة حقائق رهيبة منها :- انخفض إنتاج الحبوب في إفريقيا لكل فرد بمعدل ٢٨٪ في السنوات الخمس والعشرين الماضية.

- فقدت إثيوبيا ٩٠٪ من غاباتها منذ عام ١٩٠٠م، الأمر الذي مكن مليار طن متري من التربة الفوقية من الانجراف سنويا.
- تواجه حيوانات استراليا الأصلية الانقراض، وكان قد انقرض ٢٨٪ من حيواناتها الأصيلة.
- تحتاج الحياة البحرية في الخليج العربي ١٨٠ عاما كي تتخلص من عشرة ملايين برميل من النفط التي انسكبت أثناء حرب الخليج.
- تعد ١٠٪ من الأنهار المنتشرة في أنحاء العالم ملوثة، كما تلتقط المحيطات ٦,٥ مليون طن من النفايات سنويا.

وهكذا تتنافس هذه القضايا الملحة على الاهتمام من قبل صناع القرار في العالم ، وبالإضافة إلى ذلك تتوقع الدراسات أنه بحلول عام ٢٠٢٥ م ستنفث البلدان النامية في الهواء أربعة أضعاف كمية ثاني أكسيد الكربون التي تنفثها الدول المتقدمة اليوم، كما يتوقع أن تفقد الأرض أكثر من ٢٥٪ من الأجناس الموجودة حاليا.

تتضح حاجتنا الماسة إلى وجود التربية البيئية بصورة تطبيقية وليست نظرية في عصرنا الحالي

إن أهمية وجود أهداف للتربية البيئية من منظور إسلامي تثبت للجميع أن الإسلام دين يؤكد على احترام وتقدير البيئة

إن الإنسان في دول الشمال يستهلك من المياه ويولد من الملوثات بما يزيد عن عشرين ضعفا عن المواطن في دول الجنوب.

إن التلوث الذي يسببه مواطن أمريكي واحد يزيد على ذاك الذي يسببه مواطن عادي من دول العالم الثالث بعشرين إلى مائة مرة، ويماثل استهلاك الأمريكي الواحد للطاقة ما يستهلكه ثلاثة يابانيين، أو ستة مكسيكيين، أو ١٣ صينيا أو ٣٥ هنديا أو ١٥٣ بنغلادش أو ٤٩٩ إثيوبيا.

كما تشير الإحصاءات إلى أن العالم قد خسر في عام واحد فقط، حوالي ٣٦ نوعا من الحيوانات الثديية، ٩٤ نوعا من الطيور بالإضافة إلى تعرض ٣١١ نوعا آخر للخطر، أما الغابات فهي في تناقص مستمر بمعدل ٢٪ سنويا نتيجة الاستنزاف وتلوث الهواء المنتج للأمطار الحامضية، وكذلك التربة فإنها تتناقص باستمرار بمعدل ٧٪ من الطبقة العليا كل عقد، وذلك بسبب الانجراف والتآكل بشكل مستمر نتيجة الإنهاك المستمر بالزراعة الكثيفة أو الري الكثيف، مما يؤدي إلى ملوحة التربة وتصحرها.

كذلك تسود استخدامات المياه ممارسات خاطئة تؤدي إلى ندرة المياه ونضوبها، عدا عن الانخفاض الطبيعي الحاصل في منسوب المياه في باطن الأرض ، الأمر الذي يهدد البشرية بخطر حقيقي.

إن هذه الحقائق والإحصاءات توضح مدى خطورة الوضع الذي وصلت إليه الأرض نتيجة سوء استخدام البيئة من قبل الإنسان، وهي مظاهر تستلزم التدخل السريع للإنقاذ، ولا إنقاذ للبشرية إلا بالإسلام.

وتأتى أهمية وحتمية وجود أهداف للتربية البيئية من منظور إسلامي لتؤكد للجميع أن الإسلام دين يؤكد على احترام وتقدير البيئة انطلاقا من أهداف عدة منها :-

١ - تنمية الوعي البيئي لدى الإنسان المسلم عن طريق تزويده بالرؤية الصحيحة عن البيئة ومكوناتها بما يحقق دوره المطلوب في الأرض باعتباره خليفة الله فيها.

٢- تنمية وتكوين القيم والاتجاهات والمهارات البيئية الإسلامية لدى الإنسان المسلم، حتى يستطيع على ضوئها مواجهة مختلف صعابها بإرادة قوية ، ومن ثم استغلالها بصورة نافعة بما يحقق أهداف الإسلام.

٣- تنمية قدرة الإنسان المسلم على تقويم إجراءات وبرامج التربية والتعليم المتصلة بالبيئة من أجل تحقيق تربية بيئية أفضل.

٤- إيجاد التوازن وتعزيزه بين العناصر الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية المتفاعلة في البيئة لما فيه صالح الإنسان المسلم.

٥- فهم الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والطبيعية وعلاقة الإنسان المسلم بالقضايا والتلوث.

القيم البيئية الإسلامية :

هي (مجموعة الأحكام المعيارية المنبثقة من الأصول الإسلامية، التي تكون بمثابة موجهات لسلوك الإنسان تجاه البيئة، تمكنه من تحقيق وظيفة الخلافة في الأرض).

أقسام القيم البيئية الإسلامية :

أولا - قيم المحافظة.
ثانيا - قيم الاستغلال.
ثالثا - قيم التكيف والاعتقاد.
رابعا - قيم الجمال.

١- قيم المحافظة: وتختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو المحافظة على مكونات البيئة وتشمل:

- المحافظة على نقاوة الغلاف الجوى.
- المحافظة على نظافة الثروة المائية.
- المحافظة على رعاية الثروات النباتية.
- المحافظة على رعاية الثروات الحيوانية.
- المحافظة على استخدام الثروات المعدنية و اللامعدنية.

- المحافظة على نظافة الطرقات.
- المحافظة على نظافة بيوت الله والبيوت العامة.
- المحافظة على الصحة البدنية.
- المحافظة على الهدوء وتوفيره.

٢- قيم الاستغلال: هي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو الاستغلال الجيد لمكونات البيئة. وتتضمن عدم الإسراف، وعدم التبذير، والبعد عن الترف، الاعتدال والتوازن في كل شيء، حيث يدعو الإسلام إلى الاعتدال في استهلاك موارده البيئية بحيث تكفي ضرورته وحاجاته، بدون إفراط ولا تفريط.

٣- قيم التكيف والاعتقاد: هي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو التكيف مع بيئتهم، ونحو تصحيح معتقداتهم السلبية تجاهها وتشمل الآتي :

التكيف مع التغيرات الطبيعية مثل (قسوة الظروف المناخية، طبيعة الأرض) وكذلك الابتعاد عن المعتقدات الخرافية مثل (التعاويذ والتمائم والتبرك بالشجر ، والكهانة ، والتشاؤم .. الخ)

٤- قيم جمالية وهى تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الإنسان نحو التذوق الجمالي لمكونات البيئة .. قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس). أخرجه مسلم.

قال تعالى :

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾. سورة فاطر، الآية : ٢٧ – ٢٨.

﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا...﴾ سورة فصلت، الآية : ٩ - ١٢.

﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين﴾. سورة الحجر.

وتبين الآيات عظيم صنعه وروعة وجمال الصنعة وعظمة الصانع سبحانه وتعالى ، الذي خلق كل شيء جميل.

العنكبوت..

قدرات .. تتفوق على بطل هوليود

الضياء - قسم الدراسات

في ليلة عاصفة، يأوي البطل تحت جنح الظلام إلى بيت عتيق متهدم، ربما يكون مسكوناً بالأشباح، ويعبر المدخل مسترشداً بنور مصباحه الكهربائي الخافت، ليجد درجاً لولبياً وبينما هو يقترب منه يتعثر فجأة، ويعلق في شبكة عنكبوت عملاقة.
إنه سيناريو شائع ليس في الأفلام وحسب، بل في الكتب والمسلسلات الكوميدية والبرامج الاذاعية الدرامية ويحظى بقدرة دائمة على التلاعب بأعصاب الجمهور، لأن معظم الناس على ما يبدو يخافون ويمقتون العناكب... وهناك عالم زواحف معروف يتعامل مع الأفاعي بجسارة منقطعة النظير، لكنه يرتعد خوفاً من فكرة التعامل مع العناكب أو حتى لمسها.

وربما يكون أحد أول الأشياء التي يقوم بها الناس عند الانتقال إلى منزل جديد أو الرجوع إلى البيت بعد غياب طويل مسح خيوط العنكبوت المتدلية من الجدران والأسقف، ومع اقتراب الصيف ستجدهم يتذمرون من وجود الحشرات الضارة في أنحاء المنزل والحديقة، لكن حقيقة الأمر ان العناكب تعد من أكثر الكائنات التي يساء فهمها في المنازل والحدائق، فإضافة لألوانها واشكالها الجميلة، تؤدي هذه الحشرات نشاطاً بيئياً مهماً، ويجب ان يشجع على وجودها.

العنكبوت القفاز هو زائر شائع في البيوت في منطقة الجزيرة العربية، وتتميز هذه النوعية من العناكب بالأشكال اللافتة للنظر على أجسامها، وقدرتها على القفز على فريستها، لكن قبل ان يقفز هذا العنكبوت فإنه يضع قرصاً يربط نفسه به بواسطة خيط حريري يؤدي دور حبل السلامة، بحيث انه إذا أخطأ العنكبوت فريسته، فلن يقع على الأرض. ويتغذى العنكبوت القفاز بشكل رئيسي على الذباب والبعوض..
هذه القدرات وغيرها الكثير من التي تمتلكها العناكب جعلت هوليوود تنتج فيلما شهيرا حقق نجاحا مذهلا فور عرضه في دور السينما الأمريكية هو (الرجل العنكبوت) الذي تنتقل من خلاله قوة العنكبوت الى شاب صغير مما يؤدي الى تغير

حياته بشكل كبير ولم يكن أحد يتوقع أن يحقق الفيلم في الأسبوع الأول وحده أكثر من ١١٤ مليون دولار ليصبح أول فيلم في تاريخ هوليوود يتعدى حاجز المئة مليون دولار في أسبوعه الأول.. وربما نرجع ذلك الى العنكبوت وليس البطل!.

إن للعناكب قدرات هائلة فهي تستطيع صناعة الشباك في طرقها المؤلفة من أكثر من ١٠٠٠ نقطة تقاطع

وقد لا يعرف البعض أن للعناكب قدرات هائلة على الرغم من ضآلة حجمها فهي تستطيع صناعة الشباك الكلاسيكية في طرقها المؤلفة من أكثر من ١٠٠٠ نقطة تقاطع حساسة كل منها بزاوية صيد مختلفة وجميعها غير مرئية في كثير من الأحيان وتستطيع أن تلتهم شباكها وتعيد حياكتها من جديد لخمس مرات كل يوم أحياناً!.

وعندما تتوق العناكب للرحيل فانها تتسلق الى نقطة عالية وتحيك ما يكفي من الخيوط لالتقاط النسيم ثم تحلق إلى الأعلى مستخدمة شباكها كمناطيد هوائية واضعة أطرافها على خصرها لتحقيق أعلى ارتفاع ممكن.. هذه المناورات الطيرانية يمكن أن تأخذ العنكبوت إلى ارتفاع يصل إلى ميلين وإلى مسافة ٢٠٠ ميل.

والانتقال بهذه الطريقة شائع وروتيني جدا لدرجة أن حوالي نصف العناكب الموجودة في حقل بمساحة فدانين ونصف الفدان وصلت هناك جوا أي نحو ١٨٠٠ عنكبوت تتدفق كل يوم إلى المكان مستعينة بمظلاتها الدقيقة.. تماماً كما فعلت وحدات الجنود المظليين فوق فرنسا خلال غزو نورماندي!.

وجميع العناكب مسلحة وخطرة على الحشرات على الأقل، واستنتج باحث بريطاني في حساباته ذات مرة أن الأراضي الزراعية المحلية تأوي مليوني عنكبوت لكل فدان وأن الحشرات التي تلتهمها العناكب كل عام لو بقيت على قيد الحياة قد ترجح كفتها بسهولة على كفة البشر القاطنين في المنطقة.

ومن أعجب ما يميز العنكبوت ويجعله متفوقا على البشر من أمثال (الرجل العنكبوت) هو قدرته على تعليق خيوطه بسطح الماء وهو الأمر الذي لا يستطيعه الإنسان ولو استخدم أفضل أنواع المواد اللاصقة التي يمتلكها!.

ويكفي العناكب فخرا أنها احدى معجزات القرآن الكريم وقد أنزلت سورة قرانية تحمل اسمها ويقول تعالى: مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيوتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وتكمن المعجزة الالهية في تحديد أنثى العنكبوت التي تقوم ببناء البيوت

في قوله تعالى اتخذت بيتا وقد أثبت ذلك العلم الحديث حيث أن ذكور العناكب تتخلى عن مهمة بناء الشباك وتكتفي بالتجول من أجل التزاوج لكن الاناث تحتاج إلى البروتين الذي في الحشرات لكي تنتج البيوض ولذا فهي تواصل حياكة الشباك طوال حياتها!.

والأكثر من ذلك عجبا أن ولد العنكبوت يخرج إلى الدنيا خبيراً في النسج منذ ساعة ولادته وقيل في ذلك «وأشياء من أولاد الحيوان تكون عالمة بصناعتها عارفة بما يعيشها ويصلحها حتى تكون في ذلك كأمهاتها وآبائها حيث تخرج إلى الدنيا كالفروج من ولد الدجاج والحسل من ولد الضباب وفرخ العنكبوت». وبالرغم من أن بيوت العنكبوت تتفاوت في غلظتها حسب تفاوت الدويبات التي تنسجها في القوة والضعف إلا أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت وذلك لأن البيت يفترض فيه أن يكون ظلا ووقاية من الشمس وزمهرير البرد ومانعاً للعدوان إلى غير ذلك من منافع إلا أن بيت العنكبوت لا يفيد شيئاً ولا يقي خطرا لأنه مجرد نسيج مفتوح مكشوف!.

ولم يقتصر فضل العنكبوت على الإنسان عند حد القضاء على الحشرات فلقد كشفت الدراسات عن فوائد لا حصر لها لخيوط هذا الحيوان منها ما كشف عنه النقاب مؤخرا من أن شباكاً معينة من العناكب لها دور ايجابي في احتجاز جزيئات دقيقة من الهواء مما يجعلها أدوات

كشفت الدراسات عن فوائد لا حصر لها لخيوط هذا الحيوان

كشف مثالية عن الملوثات السامة كالمعادن الثقيلة والأكسينات الثنائية.. ومن هنا ينصح بعدم إزالة خيوط العنكبوت لأن النظافة التي تتمتع بها العناكب قد تكون سببا في موتها حيث إنها تقوم بهضم مواد ملوثة للأبقاء على بيوتها نظيفة.

استنتج باحث بريطاني في حساباته ذات مرة أن الأراضي الزراعية المحلية تأوي مليوني عنكبوت لكل فدان

وفي اكتشاف آخر خلص فريق من الباحثين الأمريكيين إلى أن السم المستخلص من العنكبوت الذئبي الكبير قد ينقذ أرواح المصابين بالأزمات القلبية وأورام المخ.. فقد وجدوا مادة كيميائية مستخلصة من سم العنكبوت قد توقف آلية أساسية تحدث في الخلايا التي تعتبر أساسية بالنسبة لمجموعة كبيرة من الوظائف البيولوجية وقال الباحثون ان سم هذه العناكب يساعد في منع الاصابة بحالة انقباض القلب التي تؤدي إلى اختلال نبض عضلة القلب وينجم عن ذلك فشل في ضخ الدم بشكل سليم وينتهي الأمر بوفاة المصاب اذا تأخر علاجه.

ومن المعروف أن العناكب التي تنتج خيوطها الحريرية بشكل طبيعي من بروتين ممزوج بالماء تخرجها من فتحة صغيرة جدا من أبدانها لتشرع في نسجها كما هو حال الخيط العادي.

ويعرف عن خيط العنكبوت أن له مواصفات ممتازة في تصنيع مواد مهمة مثل الدروع التي تحمي الأجسام والخيوط الجراحية وحتى خيوط شباك الصيد لكن المشكلة التي تواجه القطاع الصناعي تتمثل في ايجاد طريقة لإنتاج هذه المادة بكميات صناعية مجدية.

وقد سبق للجيش الامريكي أن أعرب عن اهتمامه بالموضوع منذ الستينييات بعد أن تعرض آلاف الجنود إلى للموت بفعل الطلقات ذات الفعالية النافذه التي تعرف في الجيوش العربية بالرصاص الحارق الخارق ولم يكن بالامكان حماية جسد الجندي منها إلا بارتداء دروع ثقلية الوزن معيقة للحركة وقد وجد الجيش الأمريكي ضالته في خيوط العنكبوت التي تعتبر المادة المثالية لانتاج درع واقية خفيفة الوزن وفعالة جدا.

إذن في المرة المقبلة، عندما نشاهد بطلاً في أحد الأفلام مر بشبكة عنكبوت، فلنفكر بكم من الوقت والطاقة استهلك العنكبوت لصنع مثل هذه الشبكة؟ وبعد عرض هذه القدرات فلنحكم بعدل من هو الأكثر إثارة العنكبوت أم فيلم الرجل العنكبوت؟!!.

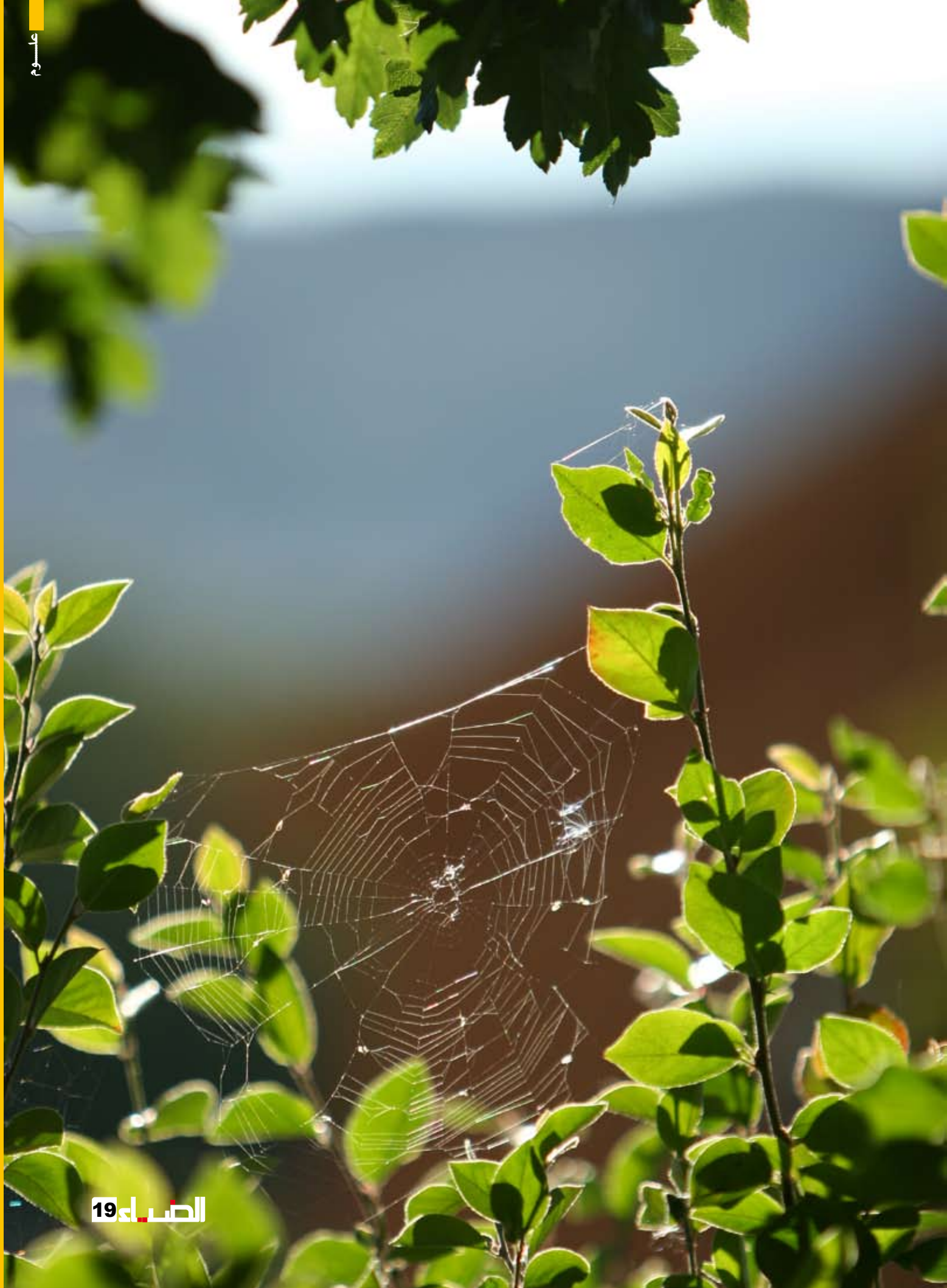

الصيرفة الإسلامية

كمال عبد الرحمن مختار

• صحافي باحث في الدراسات الاقتصادية

أبرزت الأزمة المالية العالمية الحالية أهمية قطاع التمويل الإسلامي باعتبار أنه يمكن أن يشكل أحد العناصر التي تدخل ضمن معادلة النظام المالي الجديد الذي تؤكد كل المعطيات أنه سيصبح حقيقة ماثلة خلال الأشهر المقبلة في ظل فقدان الثقة في النظام الرأسمالي الغربي الصرف مثلما حدث في نهاية العقد الأخير من القرن الماضي عندما سحبت البلدان الشيوعية ثقتها عن النظام الاشتراكي. وعلى الرغم من أن التوقعات تشير إلى أن الأزمة المالية العالمية سيكون لها تأثير قصير الأمد على أنشطة التمويل الإسلامي، إلا أن العديد من الخبراء يجمعون على أن تلك الأزمة يمكن أن تتيح للقطاع ترسيخ أقدامه بشكل أكبر من خلال الإسهام في إصلاح النظام المالي. عليه يمكن القول إن قطاع الخدمات المصرفية الإسلامية الذي يتربع على استثمارات تصل إلى تريليون دولار حالياً يتحفز للاستفادة من الأوضاع الحالية ولعب دور مؤثر على الساحة المالية العالمية.

وأصبحت الصيرفة الإسلامية صناعة ذات وزن كبير خلال العقود الثلاثة الماضية. ويوجد في العالم حالياً نحو ٣٠٠ مؤسسة مالية إسلامية في جميع أنحاء العالم. وتشير بعض تلك التقديرات إلى أن قيمة المعاملات العالمية تصل إلى تريليون دولار، في حين يبلغ معدل نمو التمويل الإسلامي السنوي بين ١٥٪ إلى ٢٠٪، ويتضاعف كل خمس سنوات على الأقل. أما معدل نمو سوق التأمين الإسلامي أو سوق التأمين التكافلي فيبلغ ٢٥٪ سنوياً، ولكن قاعدته منخفضة نسبياً حيث تبلغ ٤ مليارات دولار في جميع أنحاء العالم حالياً. ويوجد حاليا أكثر من ٢١٠ صناديق أسهم إسلامية مسجلة على الصعيد العالمي. وتسود أجواء متفائلة بإمكانية التوسع في مجال التمويل ذي الطابع الإسلامي وفي الأنشطة المالية الاقتصادية والبنوك الإسلامية سواء في العالم الإسلامي أو في أوروبا.

وتبذل الهيئات المعنية جهوداً كبيرة من أجل توضيح الأسس اللازمة لتنظيم المؤسسات المالية الإسلامية، وأن يكون هناك مجال كبير للتمويل الإسلامي للإسهام في مقررات اتفاقية (بازل ٣) فيما يتعلق بتنظيم البنوك وإدارة المخاطر. ويبدو مستقبل هذه الصناعة واعداً، حيث تمثل الودائع المتوافقة مع الشريعة الإسلامية ١٠٠ في المئة من الودائع في إيران، وما بين ٢٠ و٣٠ في المئة في الإجمالي في دول مجلس التعاون الخليجي الست، وحوالي ١٥ في المئة في الإجمالي في ماليزيا. وتقدم البنوك الإسلامية خدمات مماثلة لما تقدمه البنوك التقليدية، ولكن الطرق التي تستخدمها البنوك الإسلامية تختلف وتراعي ضرورة تقديم تسهيلات وخدمات مصرفية حديثة لا تخرج عن إطار الالتزام بالشريعة الإسلامية.

وزادت حالات عدم الرضا عن الخدمات المصرفية التقليدية في أوساط الغربيين. ويعتبر العديد من الأوروبيين أن الخدمات المصرفية التقليدية تنطوي على قدر كبير من الاستغلال وفيها الكثير من الخدمات غير الأخلاقية. كما أن التمويل الإسلامي يشتمل على المشاركة في المخاطر، بحيث تتحمل الأطراف أعباء بعضها البعض، وليس مجرد تحويل المخاطر إلى الأطراف الأخرى التي يتم غالباً استغلالها في النظام المالي الغربي.

وينظر العديد من المصرفيين الغربيين باهتمام إلى التمويل الإسلامي وذلك نظراً لما يوفره من فرص عمل واستثمار بطرق أفضل مما هو موجود في المصارف التقليدية الغربية.

ورسخت مؤسسات التجزئة المالية الإسلامية أقدامها في عدد من الدول الغربية، وأصبحت هنالك أنشطة ملحوظة لمؤسسات كبيرة مثل بنك بريطانيا الإسلامي و(الاستثمار الإسلامي الأوروبي)، و(لا ربا)، وإضافة إلى هذا بدأت مصارف تقليدية مثل البنك البريطاني و سيتي بنك ودويتشة بنك ويو بي أس السويسري وغيرها تقدم عمليات مصرفية متوافقة مع الشريعة الإسلامية. وحتى في نظر الخبراء الغربيين فإن التمويل الإسلامي يعتبر بالفعل بديلاً مبشراً للبنوك التقليدية ويمتلك سجلاً مشرّفاً. ودخلت البنوك الإسلامية في شراكات مع عدد من البنوك التقليدية من أجل إصداراتها من الصكوك الإسلامية وبغرض ممارسة الأعمال المصرفية الاستثمارية الأخرى، بما في ذلك التمويل المشترك وخدمات إدارة الودائع.

وفي إطار التوسعات التي تشهدها أنشطة الصيرفة الإسلامية في الغرب منحت هيئة الخدمات المالية البريطانية ترخيصا لمصرف (غيت هاوس بنك) ليصبح خامس بنك إسلامي مستقل في لندن. ويركز البنك التابع لمؤسسة (بيت الأوراق المالية) الكويتية على الفرص المتاحة في منطقة الخليج وأوروبا وأميركا الشمالية وجنوب شرق آسيا والأسواق الناشئة الأخرى. وتعتبر لندن أكبر سوق للبنوك الإسلامية في العالم الغربي، وتزداد النظرة إلى التمويل الإسلامي على أنه دعم هام للمدينة في منافستها مع المراكز المالية الكبرى مثل نيويورك وطوكيو وسنغافورة.

الصيرفة الإسلامية تتحفز لأخذ المبادرة العالمية متسلحة بتريليون دولار

كما أصبحت شركات التكافل الإسلامية نشطة على نحو متزايد، فضلاً عن سمتها البارزة المتمثلة في

عدم امتلاكها لسندات ربوية، ومراعاتها لعدم اختلاط أموال المساهمين والأقساط المدفوعة من قبل أصحاب عقود التأمين. ونتيجة لتلك التطورات انخرطت شركات المحاماة الدولية الرائدة في الأعمال المصرفية الإسلامية والتمويل الإسلامي نظراً لضرورة صياغة العقود بطريقة تتسق مع الشريعة في ظل القوانين الغربية.

ويأمل المراقبون أن تؤدي الأزمة المالية العالمية الحالية لإقدام المزيد من البلدان خلال المرحلة المقبلة على التوسع في نظام التمويل المالي الإسلامي والانتقال لأنماط أخرى غير الأنظمة المستخدمة حالياً. وعلى الرغم من أن بعض البلدان لا تستخدم حالياً تعبير البنك الإسلامي في البنوك والشركات المالية الموجودة لديها إلا أن تلك المؤسسات وباختلاف تسمياتها تعرف لدى المتعاملين على أنها بنوك وشركات مالية إسلامية الطابع والتطبيقات.

وناقشت ندوة انعقدت بالعاصمة المصرية القاهرة مؤخراً موضوع التمويل العقاري من منظور الاقتصاد الإسلامي، وهو ما يجنب المتعاملين المخاطر التي سببت الأزمة المالية العالمية الحالية. واستعرضت الندوة مدى تأثر الاقتصادات العربية بالتباطؤ الحاصل في أوروبا والولايات المتحدة بسبب هذه الأزمة.

وتضمنت إحدى الأوراق المقدمة في الندوة مرتكزات أساسية يمكن أن يسهم بها الاقتصاد الإسلامي في علاج ما سببته هذه الأزمة، ومن بينها إلغاء أساليب التمويل الحالية في التمويل العقاري القائمة على سعر الفائدة، واستخدام نظام المرابحة أو المشاركة التأجيرية، إضافة إلى ضبط عملية التوريق بحيث تكون لأصول عينية وليست بيعا للديون. ويطالب خبراء التمويل الإسلامي بضرورة منع البيوع القصيرة الأجل

من البيع على المكشوف والشراء بالهامش، وعدم التعامل بالمشتقات المالية واستخدام آلية السلم التي يقرها الفقه الإسلامي، إضافة إلى الامتناع عن استخدام الفوائد الربوية والتحول عنها إلى استخدام المشاركات والبيوع المشروعة، ووضع ضوابط للمعاملات ووجود هيئات متخصصة للإشراف والرقابة على الأسواق والمؤسسات في إطار الحرية المنضبطة التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي.

وتتمثل الخدمات التي تقدمها البنوك الإسلامية في تقديم حلول وخدمات مالية مثل تطوير هيكلية الصكوك كمنتج إسلامي، يعكس حقيقة الاتجاهات الاقتصادية فيما يتعلق بزيادة المديونية. كما أدت الاستجابة النشطة التي أوجدها قطاع المصارف الإسلامية لتلبية الاحتياجات المتنامية لخدمات المرابحة الإسلامية إلى نمو كبير في هذا الجانب الذي يعتمد بشكل كبير على حركة التجارة. وإذا أخذنا المنطقة العربية مثلاً نجد أن هنالك مقومات نمو كبيرة لهذا الجانب المهم، فحجم التجارة العربية ينمو بشكل ملحوظ على المستويين البيني والخارجي، فعلى مستوى العلاقات الاقتصادية العربية الأميركية وحدها على سبيل المثال، يبلغ المتوسط السنوي للتجارة السلعية بين الطرفين نحو ٢٠٠ مليار دولار.

ومن المتوقع أن تشهد عمليات الإجارة نمواً أيضاً سواء كان في العالم الإسلامي أو الغربي. لكن كل ذلك يتوقف على مدى قدرة البنوك الإسلامية على التعامل مع هذه المنتجات المهمة والتي يمكن أن ترسخ مكانة القطاع بشكل واضح.

وتتمتع لندن بأجواء مهمة لاجتذاب التمويلات الإسلامية أبرزها وجود ٢٣ مصرفا بها إلى جانب عدد كبير من مؤسسات إدارة المحافظ المالية والمؤسسات القانونية الدولية التي تقدم خدمات مطابقة لأحكام الشريعة الإسلامية فضلا عن وجود سوق ثانوي في الصكوك الإسلامية بتعاملات تصل قيمتها إلى مليارات الدولارات شهريا فضلاً عن وجود سوق متنام لخدمات الرهن العقاري بالتجزئة حسب الأصول الإسلامية. ويعد حجم التعاملات اليومية في السلع عبر بورصة لندن للمعادن من المقومات الجوهرية لإدارة الأصول والسلع بالأنظمة الإسلامية. وإضافة إلى هذا تكتسب لندن زخماً كبيراً في مجال التطوير العقاري، ويقول خبراء في قطاع التمويل العقاري إن أزمة الائتمان العالمية عززت من نمو قطاع التمويل الإسلامي ودفعت مزيدا من المطورين العقاريين إلى التحول لوسائل التمويل الإسلامي في ظل الصعوبات التي يواجهها التمويل التقليدي. وتستهدف البنوك الإسلامية أيضاً القارة الآسيوية التي تعتبر واحدة من المكامن الاستثمارية المهمة، وفي هذا الإطار قال الرئيس التنفيذي لبنك البحرين ان البنك يستهدف اسيا في اطار خططه لتعزيز وجوده خارج قاعدته في البحرين. وأضاف (كنا نتطلع قبل الأزمة أيضا الى أسواق أخرى، أما الان فنحن نعتقد أنه توجد فرص أكثر ونحن نتطلع بصفة خاصة الى اسيا). وأشار إلى أن البنك يتطلع للاستحواذ على حصص في مؤسسات مالية اسيوية.

الأزمة المالية تتيح للقطاع الإسلامي فرصاً غير مسبوقة وتفتح له آفاقاً في الغرب

تعميق قاعدة الإنتاج

من خلال التجربة الماليزية في التعامل مع أزمة عام ١٩٩٧ التي عصفت باقتصادات الدول الآسيوية، فيمكن تعلم درس مهم يتمثل في العمل على زيادة مناعة الاقتصاد القائم في معظمه على النظام الإسلامي ضد التقلبات الخارجية، وذلك من خلال تعميق القاعدة الإنتاجية، وعدم التركيز على جهة واحدة لصادراتهم، وزيادة الاستثمارات الأجنبية المباشرة التي بلغ نصيب ماليزيا منها مؤخراً نحو ٣٠ مليار دولار. كما يبرز دور الدولة في التدخل بحزم تجاه سياسة سعر الصرف، وتقويض عمليات المضاربة التي تمت على العملة الوطنية في ذلك الوقت.

وفي مجال المؤسسات التمويلية المشتركة يعتبر البنك الإسلامي للتنمية من النتائج المفيدة والمثمرة لنشاط التمويل الإسلامي التنموي ويمكن أن يشكل قاعدة مهمة مساندة للنشاطات الاقتصادية في العالم الإسلامي. وعقد البنك بالاشتراك مع مصرفيين ومسؤولين من خمس دول إسلامية مؤخراً اجتماعا في البحرين بحث إنشاء سوق إسلامي بين البنوك. وناقش الاجتماع تقارير فنية بشأن إنشاء مركز لإدارة السيولة المالية. وجاء الاجتماع ضمن سلسلة الاجتماعات المستمرة لفريق العمل الذي يسعى لإنشاء هذا السوق لتلبية الاحتياجات المتزايدة في أوساط المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

توسيع الشراكات أقصر طرق النجاح

تتطلب عملية تعميق أنشطة المصارف الإسلامية الانتباه إلى ضرورة توسيع الشراكات وتدعيم قاعدة رأس المال، وهو أمر لا يتأتى إلا عن طريق سلك طريق الاندماجات والدخول في كيانات كبيرة. وتسعى البنوك والمصارف الإسلامية العربية حاليا إلى تحقيق تكامل اكبر بينها وبين منطقتي جنوب آسيا وجنوبها الشرقي، ويتوقع ان تستحوذ المنتجات المالية التي تقدمها المؤسسات المالية الإسلامية على ٦٠ في المئة من مدخرات المسلمين البالغ عددهم حوالي ٢ ١٠ مليار مسلم وذلك بحلول العقد المقبل. ونظراً لأن المصارف الإسلامية لا تزال محاطة بالإطار الواسع والمرن للشريعة الإسلامية، فإنها تستطيع أن تكون وسيلة لتحقيق النمو الاقتصادي وزيادة الاستثمارات الرأسمالية، التي عليها في الوقت نفسه الالتزام بمبادئ العدل والمساواة وستستمر المصارف الإسلامية في تحسين موقعها في العالم الإسلامي وخارجه.

٣٠٠ مؤسسة تنتشر في بقاع الدنيا وبريطانيا تسعى لاجتذاب الحصة الأكبر

عقبات جوهرية بحاجة لحلول

تواجه المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية مشكلات وعقبات كبرى من بينها قلة الأدوات التي تمكنها من تلبية متطلبات العمل اليومي من السيولة النقدية. كما تبرز أيضاً مسألة غياب قطاع إدارة الثروات المتوافقة مع الشريعة الإسلامية كواحدة من جوانب الخلل المهمة في العمل المصرفي الإسلامي. والملاحظ أن البنوك الإسلامية الموجودة حالياً تركز على الخدمات المصرفية والاستثمارية مع وجود قصور ملحوظ في جانب خدمات الأفراد. ومن الأمور الأخرى التي تعيق المصرفية الإسلامية طول المدة التي يحتاجها إصدار بيان شرعي من قبل المجلس المختص، وهو أمر يضيف أعباءً جديدة على البنك مقارنة بتكاليف إطلاق المنتجات التقليدية. وتتركز المناقشات حالياً حول موضوع «الفتوى الدينية» ودورها في تقدم أو إعاقة عمل الطروحات المالية والاقتصادية الإسلامية وكذا المصطلحات المالية والتعبيرات المستخدمة في قطاع تمويل المشروعات المختلفة في الاقتصاد الإسلامي، علاوة على الطموحات والآمال والمصاعب التي تواجه نظام التمويل المالي الإسلامي.

ويرى الخبراء أن الغموض المحيط بنظرة الرأي العام ومدى فهمه وإدراكه للغموض المحيط بالمصطلحات المالية الإسلامية مثل التمويل الإسلامي والمرابحة والمضاربة والصكوك يرجع إلى أن عمل المال الإسلامي جديد على الساحة الاقتصادية والمالية مع التذكير بأن الإنجازات القديمة والتطبيقات المالية الإسلامية كثيرة وبعيدة الزمن. ولم يحدث التوثيق الكافي لها وتجري محاولات للتوعية نظراً لأن هذه المصطلحات تحمل في طياتها أمورا فنية معقدة.

ويرى الخبراء هنا أن المسؤولية تقع على عاتق البنوك المُسوقة لهذه وأن على الأشخاص الذين يطلبون استخدام أدوات معينة يجب أن يكونوا عالمين بها وعلى البنك المقدم لهذه الخدمة أيضاً أن يثقف جمهور العملاء. كما تقع على عاتق المؤسسات التمويلية وأجهزة الافتاء مسؤولية توعية الناس وتعريفهم بتلك الأدوات المالية والأمر يتطلب قيام المؤسسات المالية العاملة في هذا النوع من الآليات المالية بحملة لتوعية المستثمرين بهذه الأدوات.

وتقع على عاتق خبراء العالم الإسلامي العمل على إيجاد نظام نقدي ومصرفي مستقل عن ما هو سائد في العالم حاليا. ومن شأن بدء العمل لإيجاد نظام قائم على التعاليم الإسلامية أن يعزز استقلالية العديد من البلدان، حيث يعتقد العديد من الخبراء أن العمل ضمن النظام النقدي والمصرفي السائد في العالم يضع قيودا أمام الدول الإسلامية.

وخارج العالم العربي بدأ الناس يقبلون على الأنماط المالية الإسلامية. لكن المشكلة تكمن في أن التوسع في هذا النوع من التمويل المالي يحتاج لإحداث تعديلات قانونية تسمح بضم هذه الأنماط المالية الإسلامية الجديدة لمجمل الأنماط المالية القائمة. ويتصاعد في الطلب على التمويل الإسلامي في أوروبا لكن هناك أسبابا تقف وراء هذه اليقظة والطلب الجديد مثل نمو الثروة لدى الطبقة المتوسطة الإسلامية وطلب المنتجات أو التمويل المالي الذي يحمل صفة الحلال حتى بين غير المسلمين وتغير أو تحول في موقف وسياسة الحكومات وكون التمويل الإسلامي يمثل فرصة عمل وكسباً مربحاً.

صلاح الفتوى والدور الحضاري للفقيه المصلح

د. محمد أبو الشيخ

• مفتي بإدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية.
• باحث وكاتب في الدراسات الإسلامية.

إحدى كبريات القضايا المصيرية اليوم في تحديد هويتنا ونجاح مشروعنا وتنمية مجتمعاتنا ونجاعة علاقتنا بمن حولنا، وحتى في تحديد وجودنا من عدمه أمة تدعو إلى الخير ورفاهية الناس روحًا ومادة، تكمن أساسًا في ماهية الفتوى وماهية الفقيه والعلاقة المرجوة مع هذا الواقع المتجدد المليء بالتحديات.

ذلك لأننا -أحببنا أم كرهنا- نحمل خاصية لم تجتمع في أقوام غيرنا وهي هذه العلاقة المتميزة مع المقدَّس، هذه العلاقة التي تمثل مرجعية حراكنا، والتي تعتبر عنصرا إيجابيا إذا عرفنا توظيفها كما وظفها الأجداد، علما ودراية وحكمة فبنوا حضارتهم، ثم لما تقاعسوا وركنوا إلى الغوغاء والشطط وسكون المقابر، خرجوا من التاريخ وتبعناهم، وتركوا مفاتيح المنازل لأقوام آخرين استوطنوا المكان بعلم وحكمة إلى حين.

وليس المفتي نجما طارقا يعيش بين جدران مدرسته أو مركزه أو مسجده، وليس المفتي لغزا منغلقا على ذاته، يركن إلى صومعته ولا يتحدث إلا من منطلق العارف المطلق وما سواه العدم، وليس الفقيه درة مصونة تخاف الأيدي ومخالطة الناس حتى لا يقل بريقها ويخفت إشعاعها، ولكنه مواطن قبل ذلك يعيش بين أضلع مجتمع، يأكل خبزهم ويشرب ماءهم، ويمشي في أسواقهم، له ما لهم وعليه ما عليهم.

وإذا كانت الجماهير مقتصرة في الأيام الخوالي على أبناء الحي والبلدة والبلاد، فإن الثورة التكنولوجية وتقارب البلدان وانتشار المعلومة جعل من العالم قرية كونية، ومن الجماهير سكان العالم، إذا عرف الفقيه عن قرب ولمس بدقة هموم هذا الطرف أو ذاك، وفقه واقعه بكل ملابساته.

هذا الاختلاط بهموم الناس ومعايشة محنهم ونعمهم يولد هذه الاستجابة العينية والمباشرة لكل سؤال أو قضية يتعرض لها هذا الوطن، وتعطي للفتوى التصاقا كاملا بمشاغل الناس، فتنطلق منهم لتعود إليهم، ولا تكون مسقطة على حالهم تنطلق من الكتب الصفراء لتعود إليها، وكأنها تستجيب للتاريخ ولا تستجيب للجغرافيا.

علاقة إرشاد وتربية

لكن في المقابل ليس على المفتي أن يكون جوابا آليا (لما يحبه المستمعون) ولكنه مرشد ومرب ودافع إلى الصلاح، وهذا لا يتأتى إلا بالكلمة الطيبة، والمنهج القويم، والصبر والمصابرة،

والتمسك بالحق أينما كان، ومنهجية التدرج والمرونة دون مجاملة أو محاباة.

فعلاقة الفقيه بالجماهير هي علاقة إرشاد وتربية، وليست علاقة فوقية وأستاذية، هي علاقة مرافقة بناءة وليست علاقة تابع ذليل وقاصر بمتَبَع.

ومن أغرب ما قرأت في هذا الباب طلب أحدهم فتوى من فقيه وهو يريد الذهاب لزيارة إحدى البلاد حول جواز الابتسامة أو عدمها لأهل تلك الديار، وكأن هذا الدين جاء ليحمل شعار الحزن والعداوة و(التكشير) والعدوان.

الجماهير جزء من هذا الواقع المتحرك والمتجدد، وما يعنينا هو هذه البيئة المادية التي تتحرك فيها الفتوى، من علاقات ومعطيات وسلوكيات وثقافة وعقليات وتواريخ ومستويات تنمية، فلا تتساوى فتاوى تتنزل في إطار يعيش الوفرة والسلام والأمن والاستقرار، مع إطار يعيش الندرة والضيق والخوف والرعب، ولا تتساوى فتوى الحي والقرية مع فتوى المدينة والبلاد، ولا تتماثل فتوى يطلبها فرد، مع فتوى تخص جماعة أو تلمس المجموعة.

وهذه العلاقة مع الواقع تتطلب -ولا شك- فقها وعلما وحكمة، فلا يكفي علم الفقيه لاعتبار الفتوى صالحة، ولكن معرفته بإطارها المادي الذي تتنزل فيه، تعتبر مؤشر نجاحها وصلاحها، أو فشلها وطلاحها.

ولن نعيد حديثا قتل بحثا وتذكيرا بتغيّر الفتوى بتغير الديار وتغيّر الزمان، وسنمرّ مرور الكرام على تغيّر فقه الشافعي وهو يغيّر مكان الإقامة من بغداد إلى القاهرة، ولن نعيد التذكير بفتاوى القاضي الحنفي ابن عابدين في ظل الدولة العثمانية وفي إطار المجلة.

وإذا ابتعد الفقيه المفتي عن اعتبار الحكمة جزءا أساسيا في عملية اختمار الفتوى وتنزلها، فإنه يقع في مطب التعسف على الواقع وليّ عنقه وإسقاط رأيه عليه دون الإلمام الكامل بمعطياته.

قالوا في شروط الاجتهاد أنه لابد فيه من معرفة عادات الناس، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان

وهنا تقع المأساة، فمنها ما كبر فيعصف بكيان أمة ويشوه صورتها وينهي دورها المتميز في هذا الكون ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران : ١١٠]، ومنها ما صغر فيحبط الفرد أو يتطرف فيهلك الحرث والنسل في مستوى أسرة أو مجتمع.

خطورة الإفتاء وآداب الإفتاء ومسؤولية المفتي

الفتوى لها شأن عظيم في الإسلام، فهي خلافة للنبي صلى الله عليه وسلم في وظيفة من وظائفه في البيان عن الله تعالى، فبقدر شرفها وأجرها يكون خطرها ووزرها لمن يتولاها بغير علم ولهذا ورد الوعيد. ففي حديث الدارمي عن عبيد الله بن جعفر مرسلاً (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار).

وأخرج الشيخان عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).

وروي عن عبد الله بن أبي ليلى قال: أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلا ود كفاه. وفي لفظ آخر كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى آخر حتى ترجع إلى الذي سأل عنها أولاً. قال: وروي أن الصحابة كانوا يتدافعون أربعة أشياء: الإمامة والوديعة والوصية والفتيا.

وفي هذا الإطار أطلقت دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخير بدبي مؤخراً مشروع (المفتي المواطن) لإعداد وتأهيل شباب الوطن للإفتاء خدمة للإسلام على المستوى المحلي والإقليمي تماشياً مع توجهات الدائرة الإستراتيجية لتأهيل موارد بشرية مواطنة كفؤة تخدم وطنها ودينها بشرف. وتخريج مفتي مواطن يكون بصيراً بعادات وتقاليد البلاد ليكون أقرب إلى الحل في بعض المشكلات والفتاوى التي هي من صميم عادات وأعراف أهل المنطقة.

فالعرف مهم في إسداء الفتوى، وهو ما يتعارف عليه الناس كالمعروف والعادة، وحجية العرف مستفادة من الكتاب والسنة، قال تعالى: (وللمطلقات متاع بالمعروف) وقوله تعالى: (ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) وقال جل شأنه: (من أوسط ما تطعمون أهليكم) وفي الحديث: (خذي ما يكفيك وأهلك بالمعروف) ومما يستدل به لحجية العرف السنة التقريرية لتقرير النبي صلى الله عليه وسلم للناس على صنائعهم وتجاراتهم، قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين...) متفق عليه.

وعن مالك أنه خصص قوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن). بالعرف، قائلاً: إن المرأة الشريفة لا ترضع بناءً

على العرف وهو يوجب الرضاع على غيرها. والإمام أحمد يقول في الجائحة: إني لا أقول في عشر ثمرات ولا عشرين ثمرة ولا أدري ما الثلث، ولكن إذا كانت جائحة تعرف الثلث أو الربع أو الخمس توضع.

فهذا يدل على أن العرف قد يكون أساساً لاستنباط الحكم فيخصص العام في دليل الاستحسان، إلا أن العرف قد يكون أساساً لتغير الفتوى، لهذا فإن العلماء لم يفرقوا بين مجتهد ولا مقلد فيما يتعلق بالعرف.

ومن الواضح أنهم يرون أن المقلد يتصرف طبقا للعرف، فيمكن أن يراجع مذهب إمامه على ضوئه، بل إنه يخالف ظاهر النص بسبب اختلاف العرف وبهذا الصدد نذكر اختلافهم في تغير العرف بالنسب لضمان ما أتلفته الماشية كما في حديث ناقة البراء، فإن على أهل الحوائط حفظ حوائطهم بالنهار وعلى أهل الماشية حفظ ما شيتهم بالليل، وفي حال تغير العرف بأن كان أهل الحوائط يحفظونها ليلاً وأهل الماشية يحفظونها نهاراً.

قال السيوطي: كما لو جرت عادة قوم بحفظ زرعهم ليلاً ومواشيهم نهاراً، فهل ينزل ذلك منزلة العرف العام:

ولهذا قالوا في شروط الاجتهاد أنه لابد فيه من معرفة عادات الناس، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله أو لحدوث ضرورة أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولاً للزم منه المشقة والضرر بالناس ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد لبقاء العالم على أتم نظام وأحسن أحكام، على ما كان في زمنه لعلمهم بأنه لو كان في زمانهم لقال بما قالوا به أخذاً من قواعد مذهبه.

فإذا أردنا نؤهل مفتياً لابد أن يكون بالغاً، فإن الصبي وإن بلغ رتبة الاجتهاد وتيسر عليه درك الأحكام فلا ثقة بنظره وطلبه، فالبالغ هو الذي يعتمد قوله.

كذلك لا بد أن نراعي أمراً مهماً وهو أنه لا يتم اختيار المفتي المواطن لمجرد أنه أتم الدراسة الأكاديمية الشرعية، لأن ذلك وحده لا يكفي، لكن لا بد من وجود مؤهلات تؤهله لأن يتدرب على الإفتاء والفتيا، وهذه المؤهلات لا تتأتى إلا إذا كان حافظاً لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، دارساً للفقه وأصوله على يد علماء أجلاء وهو ما يسمى في الأزهر عندنا بالأروقة حيث لكل عالم هناك مكان يجلس فيه للتدريس وله رواق خاص به كرواق الأتراك ورواق المغاربة وخلاف ذلك ويتم في هذه الأروقة تعليم الطلاب كيف يتعاملون مع كتب التراث بحثا وتعلماً وتعليماً مع ربط ذلك بالواقع المعاش، لقول الله تعالى: (الرحمن فاسأل به خبيرا) فيشترط فيمن يريد أن يكون مفتياً في المستقبل أن تكون لديه الملكة في استنباط الأحكام، وكذلك التعامل مع نصوص الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وتوظيفها بما يناسب الحال والمقام، فالفتوى لها بيئة وبنية، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كان عالماً باللغة العربية، فإن الشريعة عربية وإنما يفهم أصولها من الكتاب والسنة، عالماً بالنحو والإعراب، فقد تختلف باختلافه معاني الألفاظ، ومقاصدها. عالماً بالقرآن، فإنه أصل الأحكام، ومنبع تفاصيل الإسلام. ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابد منه. وعلم الأصول: حتى لا يقدم مؤخراً، ولا يؤخر مقدماً، ويستبين مراتب الأدلة والحجج. وعلم التواريخ مما تمس الحاجة إليه، في معرفة الناسخ والمنسوخ. وعلم الحديث والميز بَين الصحيح والضعيف والمقبول والمطعون، ثم يشترط وراء ذلك كله فقه النفس فهو رأس مال المجتهد، ولا يتأتى كسبه. فإن جبل على ذلك فهو المراد، وإلا فلا يتأتى تحصيله بحفظ الكتب.

وكثر اليوم من يتصدى لهذا الأمر الجليل بما يخالف صحيح الدين، ولا يحق لأي من الناس أن يسأل أحداً إلا من كان منصَّباً من قبل الجهات الرسمية لذلك، وأن يكون حاصلاً على أعلى الدرجات العلمية في الشريعة وأن يكون له دربة في إدراك الواقع والتصدر للإفتاء، وأن يكون مشهوراً بالعدالة، كشأن المتصدرين للقضاء، وأن يكون معه من الأدوات العلمية ما يتيح له أن يدرك الواقع على ما هو عليه، وكذلك القدرة على ربط الحكم الشرعي بالأحداث القائمة مع المحافظة على تحقيق المقاصد.

وعلى ذلك لا يسمى الشخص بمفتي بمجرد أن يتصدر للكلام في الدين في وسائل الإعلام – كما هو الشائع في عصرنا – من غير أن يكون قد استكمل الأدوات العلمية الأكاديمية الشرعية، ومن غير أن يعتمد من الجهات المخصصة الرسمية فقد يكون له شيء من المعرفة ببعض مسائل العلم، كذلك من يجيد فن الحوار والإلقاء ومن البلاغة بمكان لا يصير مفتيا تؤخذ منه الأحكام إلا إذا تسلح بما يؤهله لذلك.

من هنا يجب على من أراد أن يعلم حكم أمر من الدين ألا يذهب إلا إلى الجهات المختصة التي تضم علماء يمتلكون الأدوات التي تؤهلهم لذلك وهناك جهات رسمية منتشرة في كل البقاع، كدار الإفتاء في مصر وغيرها من دول العالم الإسلامي، ومجمع البحوث الإسلامية، بمصر ومجمع الفقه الإسلامي بجدة، إدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية بدبي وهيئة الشؤون الإسلامية والأوقاف بأبوظبي.

الفتوى لها شأن عظيم في الإسلام، فهي خلافة للنبي صلى الله عليه وسلم في وظيفة من وظائفه في البيان عن الله تعالى

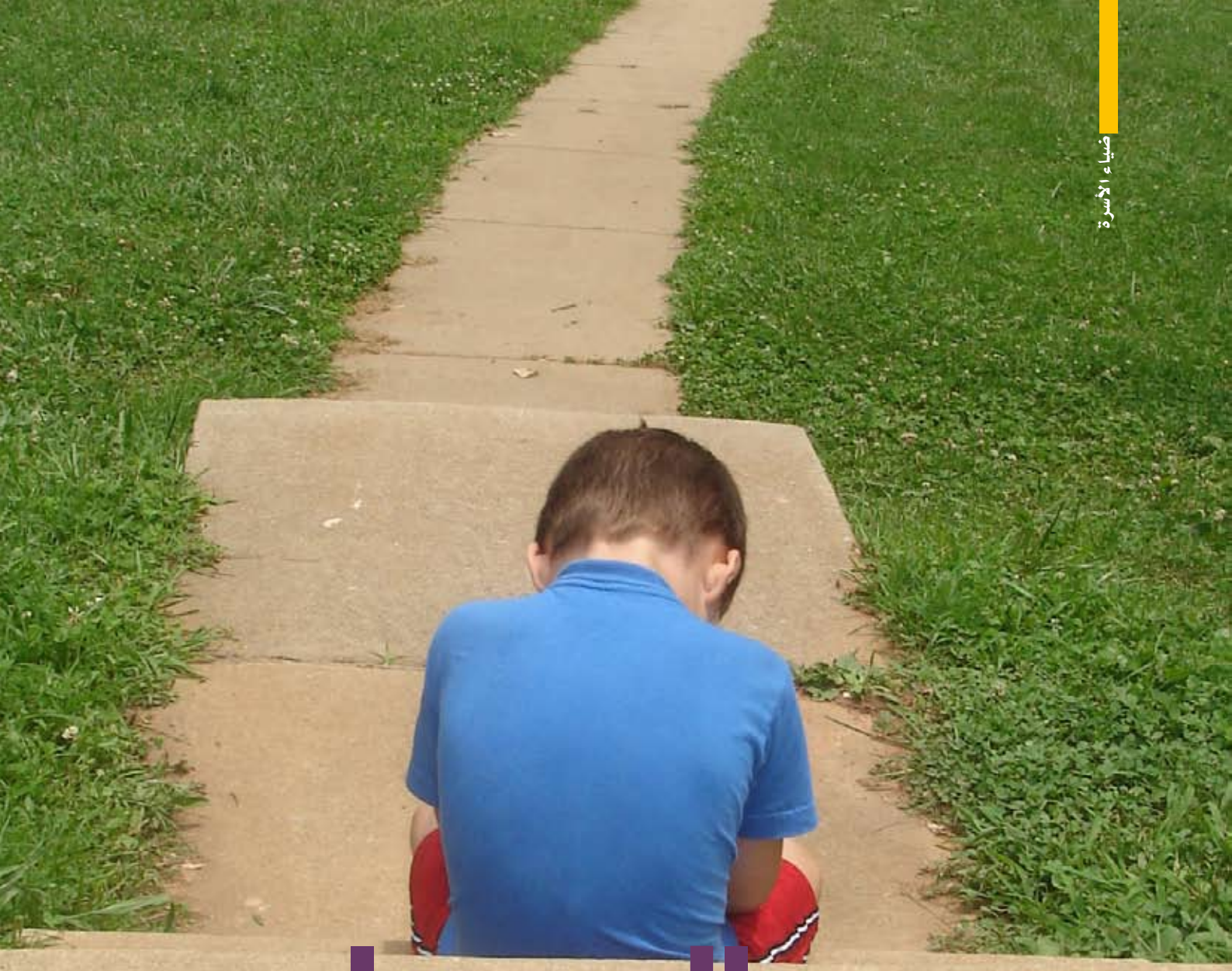

الوسواس القهري عند الأطفال

د. خالد سعد النجار

• استاذ علم النفس بجامعة عين شمس.
• كاتب وباحث في ا لدراسات الإسلامية.

يعرف الوسواس القهري عند الأطفال بأنه أفكار وأفعال متكررة ودائمة غير مرغوب بها، توصف بالسخف لدى البالغين بينما لا يلاحظها الأطفال عند تعرضهم لها، وتكون الأعراض عادة مصحوبة بالحزن والكآبة، والإحصائيات أثبتت أن ثلث إلى نصف البالغين المصابين بالوسواس القهري كانوا يعانون منه منذ الصغر. لكن رغم إصابة الأطفال بهذا المرض إلا أن نسبة كبيرة منهم يعانون منه دون علم أهلهم، بل وجد أيضا أن ٢٥٪ من هؤلاء الأطفال لهم آباء أو أمهات مصابون بالوسواس القهري مما يؤكد دور العامل الوراثي في الإصابة. ونسبة انتشار هذا المرض عند الكبار ٢-٣٪، ومعدل أعمار ظهور هذا المرض من ٢٠-٢٥ سنة، وتظهر الأعراض في ٥٠٪ منهم في فترة الطفولة والمراهقة.

ولا توجد أسباب معروفة للإصابة بالوسواس القهري وإن وجد العلماء علاقة بين الإصابة بالمرض والأسباب الآتية في بعض المرضى:

١- الوراثة: التي قد يكون لها دور في الإصابة. فلقد وجدت علاقة بين الإصابة بالوسواس القهري والإصابة بنقص الانتباه والنشاط الزائد في الأطفال الذي ينتشر في بعض العائلات ويورث كصفة سائدة، إذ تصل نسبة الإصابة في أقرباء المريض من الدرجة الأولى إلى ما نسبته ٣٥٪، كما أن دراسة التوائم أثبتت أن نسبة الإصابة بين التوائم المتماثلة أكثر بكثير مما هو الحال في التوائم غير المتماثلة.

٢- اضطراب نسبة النواقل العصبية في الفراغات الموصلة بين خلايا الدماغ: وأهمها مادة السيروتونين Serotonin التي أثبتت البحوث أنها المادة الأهم في هذا المرض، فانخفاضها في هذه الفراغات الموصلة يؤدي للكثير من الاضطرابات كالوسواس القهري والاكتئاب وأمراض القلق الأخرى. وهناك مادة أخرى مهمة هي الأدرينالين أو الابينيفرين والتي تشير البحوث إلى أن اضطراب نظامها له علاقة بنشوء أعراض الوسواس القهري.

٣- الصور الإشاعية للدماغ (المقطعية والرنين المغناطيسي) أثبتت وجود اختلال بوظائف بعض فصوص الدماغ (الفص الأمامي)، نواة الكودات، ومناطق أخرى، وأيضا وجود ضمور في بعض الأجزاء الداخلية والعميقة في الدماغ. كما أظهرت الفحوصات المتقدمة والمعقدة كـ PETوجود نشاط مفرط في عمليات الأيض وتدفق الدم في بعض مناطق الدماغ.

٤- العدوى ببعض الأمراض: ورد في بعض الحالات الإصابة بالوسواس القهري عقب الاصابة بالعدوى البكتيرية المعروفة بستربتوكوكاى من المجموعة الأولى Group A Streprococcal Infection حيث يرى بعض العلماء أن الإصابة بالستربتوكوكاى تؤثر على الجهاز العصبي في الأطفال، وكذلك في بعض الحالات المصابة بفيروس الهربس Herpes Simplex.

وجدت علاقة بين الإصابة بالوسواس القهري والإصابة بنقص الانتباه والنشاط الزائد في الأطفال

والوسواس القهري أحد الأمراض النفسية التي تسيطر فيه فكرة سيئة

قد يكون الوسواس القهري مصاحبا لأمراض نفسية كثيرة مثل: الاكتئاب والقلق اللذين قد يسبقان أو يليان الوسواس

على رأس الطفل المريض وتجعله يقوم بأفعال قهرية، وقد تكون على هيئة أفكار أو أفعال متكررة أو الاثنين معا، ومن هذه الأفكار التي تبعث في نفس الطفل القلق ولا يستطيع التخلص منها أفكار تتعلق بالتلوث والجراثيم، كأن يعتقد الطفل أن يديه أصبحت ملوثة ومتسخة بمجرد لمسه للأشياء. أفكار بأن شيئاً خطيراً سوف يحدث. أفكار تتعلق بالحاجة إلى ترتيب معين أو الدقة أو التماثل في مجالات كثيرة. أفكار تتعلق بالأمور الدينية مثل التي تسيء للدين. أفكار تتعلق بالتشاؤم أو التفاؤل ببعض الأرقام أو الألوان. أفكار تتعلق بإيذاء الآخرين. وقد يوجد لدى الطفل فكرة واحدة أو عدة أفكار معا.

أما الأفعال القهرية فهي أفعال متكررة يقوم بها الطفل حتى يخفف بها القلق والشك مثل غسل متكرر لليد أو استحمام متكرر أيضا، أو غسيل الأسنان أو تمشيط الشعر بصورة متكررة. يدخل عدة مرات من الباب، أو يدخل ويخرج بعدد مرات معين. أفعال لها علاقة بالتأكد مثل التأكد من قفل الأبواب ومفاتيح الغاز. أفعال لها علاقة بلمس الأشياء بطريقة أو عدد معين. أفعال لها علاقة بترتيب الأشياء بشكل معين أوبتساوي أو تماثل معين. أفعال لها علاقة بالعد بطريقة معينة. أفعال لها علاقة بالابتعاد عن الخطر مثل التأكد أن جميع السكاكين في مكان بعيد، وقد تكون الأفكار والأفعال متلازمة مثل الأفكار المتعلقة بالتلوث والجراثيم تصاحبها أفعال مثل تكرار عملية الغسل. أفكار

التشكك بصحة الوضوء أو الصلاة يصاحبها تكرار الوضوء والصلاة عدة مرات.

وقد يكون الوسواس القهري مصاحبا لأمراض نفسية كثيرة مثل: الاكتئاب والقلق اللذين قد يسبقان أو يليان الوسواس. أيضا أمراض التوحد وأمراض اضطرابات الأكل وأمراض الإدمان والعنف.

وفي حالات اضطراب الوسواس القهري في الأطفال يمكن أن يلاحظ الوالدان بعض العلامات على الطفل تجعل من الحاجة إلى ملاحظة تصرفاته بشكل أدق أمرا لا بد منه، وهذه التصرفات قد تحدث من الطفل ولا ينتبه إليها الأهل أو يفهمونها خطأ ويعاقبون الطفل لأنه لا يستطيع التوقف عنها، ومن المهم بالطبع أن يمثل التصرف تغيرا عن المعتاد بالنسبة إلى هذا الطفل ومن أشهر هذه التصرفات:

ظهور ما يشبه الجير على اليدين من كثرة الغسل بالصابون. استهلاك كميات فوق المعتادة من الصابون أو ورق الحمام. التأخر في الحمام لمدة أكثر من المعتاد. البقاء لساعات طويلة أمام الكتاب من دون قلب الصحفة، وربما هبوط في الدرجات. الإفراط في استخدام المحاة وظهور ثقوب في الكراريس نتيجة لذلك. الإطالة المبالغ فيها في الوضوء أو في أداء الصلاة. تكرار السؤال لأفراد الأسرة (عادة للاطمئنان)، مع طلب الإجابة بكلمات معينة ليطمئن. قضاء وقت أطول من اللازم في التهيؤ للخروج. الإصرار على أن يكون آخر من يخرج من البيت بعد أفراد الأسرة لكي يكون بإمكانه مصاحبتهم. الخوف المتكرر والمستمر على حالته الصحية أو حالة أحد أفراد الأسرة (كما يتضح من تكرار السؤال مثلا).

أما عن العلاج فهو يتكون من جزء دوائي وجزء سلوكي ونفسي، ولا بد وأن يتم تحت إشراف الطبيب، وذلك لتحديد الجرعات المناسبة للدواء، وخاصة في الأطفال، حيث يحتاج الأمر إلى دقة في هذه الجرعات ومدتها، وفي متابعة الحالة من خلال الجلسات النفسية، أما العلاج السلوكي فله أهمية كبيرة، ويجب أن يترافق مع العلاجات الدوائية لتحقيق أفضل النتائج. ومن أمثلته أسلوب (التعريض ومنع الاستجابة) بمعنى يوضع الطفل المريض في موقف يثير وساوسه ومنعه وتشجيعه على عدم الاستجابة لرغبته. هناك أيضا أسلوب (التعريض التدريجي) وذلك بتقديم ما يثير الوساوس لدى المريض بشكل تدريجي. هناك ايضا أسلوب (وقف الأفكار الوسواسية) وهناك أخيرا أسلوب (العلاج بالتكرية والتنفير). أما العلاج النفسي فيعتمد على المساندة المستمرة للطفل والوقوف بجانبه ومناقشة أعراضه وهمومه ومخاوفه، كذلك مساعدته على التأقلم مع الظروف المحيطة به والتي تثير الوساوس لديه.

والتشجيع الدائم على المثابرة وعدم الاستسلام والانتظام على الدواء الموصوف له كجزء مهم من العلاج النفسي.

وهناك أيضا علاج مساند إذا كان هناك مشكلة في المدرسة أو التغيب عن المدرسة. ومن المفيد أن يكون هناك فرد من العائلة يعمل كمعالج مساعد داخل المنزل لاستمرارية البرنامج.

ويتسم الوسواس القهري بحدوث فترات من التحسن ولو جزئيا وفترات من اشتداد الأمر، كما أنه يتميز بالشفاء التام عند توفر بعض الأمور مثل كون الطفل يستوعب الفكرة والفعل ورغبته بالتخلص منها، وعدم وجود مرض نفسي مصاحب (بالذات مرض اضطراب السلوك العدائي) وإذا كانت العائلة متفهمة ومساندة للطفل دون إظهار قلق زائد.

المصادر

- الوسواس القهري عند الأطفال – د. رابية إبراهيم حكيم.
- كيف تتعامل الأسرة مع المريض بالوسواس القهري – د. وائل أبو هندي

أديب العلماء وعالم الأدباء
الشيخ علي الطنطاوي

بقلم عطية فتحي الويشي

• كاتب وصحافي سوري.
• مؤرخ وباحث في التراث الإسلامي.

في صدي النوائب والخطوب التي تلم بأمة الإسلام في غير مكان يشأ الله عز وجل لواحد ممن أبلوا في خدمة هذه الأمة بلاءً حسناً: أن ينسل من القافلة، ويترجل عن جواد امتطى صهوته قرابة سبعين عاماً من الكفاح العلمي والجهاد الدعوي والتصنيف والتأليف في مجالات الفقه والفكر والأدب والتاريخ. وغير ذلك من المجالات التي برع فيها وأبدع فأجاد. ولم يزل على ذلك حتى أتاه أمر الله الذي لا يرد.

وتأتي وفاة الشيخ علي الطنطاوي في سياق المؤشرات التي تكشف يوما بعد يوم عن مزيد من حالات التراجع والضمور والعطب التي تصيب الأمة المسلمة في شتى مناحي حياتها المعاصرة. والحقيقة أنه ليس من هم ولا مصيبة أشد من أن تفجع الأمة في علمائها الأبرار، فيرفع العلم بموتهم وينتشر الجهل وتفقد الأمة مقومات فلاحها وهدايتها، روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالما: اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).

ولقد كان الشيخ الطنطاوي واحدا من كبار علماء هذه الأمة، وأديبا من أبرز أدبائها وخطبائها البلغاء النابهين، كان له أسلوبه الجزل اللطيف الرقيق الذي أتاح له بفضل الله: حضورا باكرا في ميدان الإعلام. حيث خاض مجال الإذاعة منذ نشأتها في بلدتنا الإسلامية في دمشق ومحطة الشرق الأدني ومكة والرياض. ولما دخل التلفزيون بلاد العرب: أطل عبر شاشته البيضاء، فكان نجما لامعا، ومحدثا لا نظير له. أجمع على كفاءته والإعجاب به: طبقات المجتمع كافة. ولقد لعب الشيخ علي الطنطاوي دورا بارزا في إثراء الحياة الاجتماعية فكان أحد أهم روافد التوجيه والتنوير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

مولده ونشأته:

والشيخ علي مصطفى محمد الطنطاوي: من مواليد مدينة دمشق، في الثالث والعشرين من شهر جماد الأول ١٣٢٧ هـ الموافق ١٢/٦/١٩٠٩م. ونشأ في أسرة ذات علم ودين وأدب. فجده الشيخ محمد الطنطاوي من العلماء البارزين، وكان إماماً في الجيش العثماني. أما والده الشيخ مصطفى الطنطاوي فكان من أهل العلم الشرعي وإمام مسجد وأمينا للفتوى مع الشيخ

أبي الخير عابدين مفتي الديار الشامية. كما كان عمه من علماء الفلك الإسلامي. وكان خاله العلامة المحقق والكاتب المعروف الشيخ محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح، والزهراء والحديقة:

تلقى الشيخ علي الطنطاوي تعليمه الأولي في دمشق، وبعد أن حصل على البكالوريا – الثانوية، انتقل إلى مصر ليدرس في دار العلوم، فالتحق بها في السنة التي تخرج منها حسن البنا يرحمه الله، ورافق سيد قطب يرحمه الله في الدراسة، وجلسا معاً في فصل دراسي واحد، وإن كان سيد قطب يكبره بثلاث سنوات، ولكنه لم يكمل دراسته بدار العلوم، وقفل إلى دمشق ملتحقاً بكلية الحقوق، وكان رفيقة فيها الشيخ الجليل مصطفى الزرقا يرحمه الله، وبعد تخرجه من كلية الحقوق – ١٩٢٣م – درس الأدب أيضاً، ثم التحق بسلك التعليم، ودرس في العراق – ١٩٣٦م – وفي بيروت ولما لم يجد في التعليم ما يعينه على مواجهة أعباء الحياة التحق بسلك القضاء، وعمل قاضياً شرعياً في بلدة دوما من أعمال الشام قرب دمشق. ولم يزل يتدرج في مراقي القضاء ومناصبه التي نبغ في مجالاتها المتعددة حتى وصل إلى أعلى المناصب كمستشار لمحكمة النقض في كل من سوريا ومصر. هذه الأخيرة التي ارتحل إليها ثانية لعمل دراسة علمية حول المحاكم وأحوالها فيها. أتم وضع قانون الإفتاء ومجلس الإفتاء الأعلى في سوريا.

هجرته إلى السعودية:

ولما كان العمل الدعوي بالنسبة للشيخ علي الطنطاوي في المرتبة الأولى لقائمة اهتماماته ومشاغله. التحق بصفوف الحركة الإسلامية منذ فترة ما بعد منتصف الثلاثينات من القرن العشرين.

واستمر يعمل تحت رايتها حتى قدر الله له الهجرة من سوريا إلى المملكة العربية السعودية في عهد المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود – ١٩٦٣م – فعمل مدرساً بكلية اللغة العربية والشريعة بالرياض، ثم انتقل للعمل مدرساً بكلية الشريعة بمكة المكرمة. وبعد ذلك انقطع للعمل الدعوى من خلال وسائل الإعلام، فأبلى في هذا المجال بلاء حسنا، حيث قدم برنامجا إذاعياً يومياً سماه: (مسائل ومشكلات) وقدم برنامجيه التلفزيونيين: (نور وهداية)، (على مائدة الإفطار).

ويتمتع الشيخ علي الطنطاوي بأسلوب سهل جميل جذاب لا يكاد يشبهه فيه أحد! حيث عباراته العذبة الرقراقة، وسياقاته الأنيقة الجزلة المستقيمة التي استطاع بها أن يستقطب إعجاب وإنصات من جلس إليه من عامة المسلمين عبر وسائل الإعلام على اختلافها! ولقد ساعدته هذه المواهب على عرض القضايا الإسلامية التي نذر نفسه لأجلها طوال عمره – بشيء من الحكمة والموعظة الحسنة. فكسب كثيراً من الأنصار لقضايا الأمة في كل مكان من العالم الإسلامي. وذلك بإيعاز من نزعته الإسلامية الأصلية وبتوجيهات ودعم الملك فيصل يرحمه الله.

فلقد أحسن الطنطاوي حين أفاد مما أتاحته البيئة السعودية من رحابة صدر وحفاوة ورعاية الدعاة والمصلحين. الأمر الذي هيأ له منطلقاً مناسباً لطموحاته غير المحدودة إزاء خدمة الإسلام والمسلمين بكل ما حباه الله من طاقات وإمكانات ومواهب!.

الطنطاوي خادماً للإسلام

وللشيخ الطنطاوي سهم كبير في خدمة الإسلام وقضايا الأمة، وبصورة متميزة غير تقليدية لاسيما في الفترة التي حين اكتمل فيها نضجه الفريد. كانت قد اكتملت حلقات المأساة الإسلامية وتربصت بأمتنا الدوائر فكان جنديا عند ظن الله به.

وعلي الطنطاوي على خدمة الدين وقضايا الأمة مجبول. وهو سليل بيت على خدمة الدين دؤوب: جاء عنه ضمن حيثيات جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام – التي نالها عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: أنه (ظل داعيا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مبينا فضائل الإسلام، أو مقدماً النصيحة والمشورة، أو رادا التزييف أو مشاركاً في صياغة القوانين والأنظمة، أو عاملاً في إعداد المناهج التعليمية، وما انفك يستفتى فيفتي، أو يسأل فيجيب. وقد وظف ثقافته وعلمه وأسلوبه في خدمة الدعوة الإسلامية، فأجاد وأفاد، وانتفع بعلمه عدد لا يحصى من البشر).

ولقد شارك الشيخ الطنطاوي من قديم وهو طالب؛ في مقاومة الاحتلال الفرنسي لسوريا، وحرض الطلاب والجماهير على المقاومة، وقاد المظاهرات، وألهب حماس الشعوب العربية بخطبه النارية وبيانه الساحر. وكم لاقى بسبب ذلك من الملاحقات والاعتقال والسجن والاضطهاد!.

وجند الشيخ رحمه الله؛ لسانه وقلمه طيلة حياته للذود عن الإسلام، وحراسة ثغوره وقلاعه من أعدائه الصهاينة والشيوعيين والصليبيين. كما تصدى على الصعيد الداخلي للعلمانيين ومن لبسوا لبوس المسلمين وتسموا بأسمائهم وهم أشد خطراً من اليهود والنصارى على الدين الحنيف!.

وقد حضر العديد من المؤتمرات الإسلامية ونذر نفسه لقضية فلسطين، وكانت له جولات مظفرة وصولات موفقة على صعيد الوحدة الإسلامية وتضامن الشعوب العربية والإسلامية. وبذل هو ومن معه من علماء الإسلام الكبار سعياً مشكوراً في خدمة القضايا الإسلامية في أنحاء العالم، وبرفقته الشيخان الجليلان: أمجد الزهاوي ومحمد محمود الصواف علامتا العراق!.

أديب العلماء:

حفظ الشيخ علي الطنطاوي عيون الشعر العربي الجاهلي، والإسلامي. باعتباره حجة في الفقه، كما حفظ الشعر المعاصر، وقرأ مكاتبات الأدب والتاريخ وتشرب إلى جانب ذلك علوم الدين والثقافة العامة، ولم يتوقف عن أطر أو مدارس فكرية معينة بل اطلع على ما وقعت عيناه عليه!. وهذا ما أكسبه حب مخالفيه واحترامهم الشديد له!.

كما تعلم في مدرسة الحياة على امتداد عمره الطويل من خلال معايشته الأحداث الدائرة على الساحة الإقليمية والعالمية. وذلك عبر رحلاته إلى كل من مصر والعراق ولبنان وأسطنبول وأوروبا وأفريقيا وآسيا. حيث مكنه الاحتكاك الفكري بهذه البلاد من التعرف على ثقافاتها وآدابها وعلومها وقضاياها!.

وكان للشيخ الطنطاوي مذهب في الاعتزاز باللغة كجزء من اعتزازه الفريد بالإسلام والذاتية الحضارية وهوية الأمة!. وكم رفض استخدامات الألفاظ الدخيلة على الفصحى إلا بعد تعريبها وإيجاد البديل لها. كما دافع عن الأدب الراقي الرفيع. وقاوم بكل ضراوة الأدب السوقي الخليع. وحمل بشدة على الأجناس الأدبية المستوردة، وعلى الشعر الحر مدافعاً عن القصيدة العمودية العربية الأصلية!. ولقد كانت له حاسة أدبية ذواقة وفطرية تجفل من كل رديء خبيث من الأفكار والمناهج والتصورات الأدبية!.

ولقد كانت بداية الشيخ علي الطنطاوي مع الصحافة الأدبية منذ كان شاباً يافعاً. فكتب في صحف بلاده الشامية أول ما كتب، فاحتل مكانة مرموقة بين كتابها ثم أضحى من كبار كتاب المجلات الأدبية والإسلامية المعتبرة. حيث شارك في تحرير كل من: مجلة الرسالة أحمد حسن الزيات – منذ تأسيسها ولمدة عشر سنوات، وجريدة المقتبس لمحمد كرد علي. ومجلة فتى العرب لمعروف الأرناؤط، ومجلة الفتح لمحب الدين الخطيب، والزهراء وغيرها من الصحف التي كان يشغل منها زوايا وأعمدة يومية في دمشق وغيرها!.

آثاره العلمية:

ألف الطنطاوي أكثر من خمسين كتاباً في الفكر الإسلامي والفقه والعقيدة، والسيرة الذاتية، والنقد الأدبي والتاريخي، والرحلات، والخطابة، والأدب – وأدب الأطفال بخاصة. ولعل أول ما خطت بنانه؛ كتاباً بعنوان الهيثميات، وقد صدره بإهداء إلى أديب العربية ونابغة الأدباء؛ مصطفى لطفي المنفلوطي. ثم توالت كتاباته بعد ذلك حتى لم يكد يدع مجالاً من مجالات الأدب والمعرفة إلا تغشاه بقلمه فأضاف إليه وزاده ثراء!.

فله في التاريخ مثلاً ما يلي:

١ – قصص من التاريخ.
٢ – رجال من التاريخ.
٣ – حكايات من التاريخ.
٤ – أخبار عمر.
٥ – دمشق.
٦ – فصول إسلامية.
٧ – ذكريات علي الطنطاوي.

٨ – أبو بكر الصديق.
٩ – بشار بن برد.
١٠ – سلسلة أعلام التاريخ.
١١ – الجامع الأموي.
١٢ – صور من الشرق.
١٣- وله في الفقه: مجموعة الفتاوى في عدة أجزاء.
١٤- وله في العقيدة: تعريف عام بدين الإسلام (كتاب في أجزاء).
١٥- وله في الاجتماع: رسائل الإصلاح (مع الناس).
١٦- وله في أدب الرحلات: (في إندونيسيا) و(في بلاد العرب) و(صور من الشرق).
١٧- وله في الأدب: (الهيثميات) و(التحليل الأدبي) و(سلسلة حكايات من أدب الأطفال) و(من نفحات الحرم) و(حديث النفس) و(كتاب المحفوظات – مقرر مدرسي) و(مسرحية أبي جهل) الخ.
١٨- وله في تحقيق التراث: (صيد الخاطر لابن الجوزي) وغيره.
١٩- وقد ترجمت أحاديثه عن رمضان إلى الفارسية وترجمت بعض كتبه إلى الإنجليزية!.

هذا وقد أصدر الشيخ علي الطنطاوي إلى جانب ما ذكرنا بعضه: مجلة إسلامية خاصة باسم (البعث) وكانت أول مجلة إسلامية تصدر في سوريا، بيد أنها لم تدم طويلاً حتى توقفت.

ولقد استطاع الشيخ علي الطنطاوي أن يمسك بأطراف الثقافة العربية الإسلامية قديمها وجديدها وكان ذا قبول عريض وذكر مديد وطول سديد لدى كافة الاتجاهات والصعد الفكرية. وكان في كثير من المواقف همزة الوصل ووسيلة التحاور بين التيارين: القومي والإسلامي. ذلك بأنه شخص معتدل وذو طبيعة فطرية خاصة، ولعل جمعه بين الثقافتين، وسعة أفقه ورحابة صدره وكثرة تجواله وغشيانه كل المواقع الفكرية كزائر متعرف ومكتشف: قد مكنه من استظهار بواطن الشبهات ومواطن الخطر على فكرنا وعقيدتنا الإسلامية. فدافع وسدد وقارب وأبلى في ذلك بلاءً حسناً!.

ولم يكن شيخنا الطنطاوي كاتباً مجرداً، وإنما طاول – مع حظه الفريد في العلم الشرعي – أدباء عصره: من أمثال العقاد، والمازني، ومحمود تيمور، وتوفيق الحكيم ومن قبلهم مصطفى صادق الرافعي. وكانت كتاباته في كثير من الأحيان تفوق بعض كتابات هؤلاء. هذا بشهادة معاصريه من النقاد وأهل الأدب المنصفين!.

جهاده حتى آخر رمق:

عرف عن الشيخ الطنطاوي: صدقه وإخلاصه لمبادئه التي آمن بها وعاش من أجلها حتى آخر نفس من عمره، فهو يقول ما يعتقد صوابه وأحقيته، لا يخشى في الله لومة لائم، أو نقمة ظالم، أو جفوة عالم. منها هو يكشف عن بعض ذلك بنفسه فيقول: (أفنيت حقبة من عمري في حلبة النضال أقاتل وحدي على ضعف يدي وقلة عزمي، حاربت على جبهتين: جبهة الجهلة الجامدين، الذين يحرفون الدين ويغشون المسلمين، وجبهة الفاسدين المفسدين، وما حدت – بحمد لله – عن هذا الطريق، وماكتبت بقلمي متعمدا ما لا يرضي ربي، وإن كنت لا أبرئ نفسي من الخطأ).

ويقول في مذكراته يرحمه الله: (وأنا أولاً أسأل نفسي: يا نفسي هل كنت تكتبين ما يخالف الدين، ولو أعطيت على كتابته الملايين؟. فأجد الجواب اليقيني الصادق: لا. وأسألها: إن لم يكن في الساحة من ينكر المنكر غيرك يا نفس، وكان الإنكار واجباً شرعياً، هل كنت تمتنعين عن إنكار لأنك لم تعط أجرة الكتابة؟ فأجد الجواب اليقيني الصادق: لا. فما بدلت بحمد الله، ولا غيرت، وما قلت يوماً كلمة الباطل، وأنا أعرف بطلانها، وإن صرت أعجز عن أن أعلن كلمة الحق).

وكانت الشيخوخة تترصد حركات الشيخ في سنين عمره الأخيرة. ولم يكن له فكاك من مقاعدها. فكان يعكف على عمله العلمي وهو قعيد في بيته بجوار بيت الله في مكة المكرمة، ولا يكاد يخرج إلى الناس. حتى وافاه الأجل وارتحل إلى الله في الرابع من ربيع الأول لسنة ألف وأربعمائة وعشرين للهجرة. الموافق للتاسع عشر من شهر يوليو ١٩٩٩م. وصلي عليه في الحرم الشريف بعد صلاة العصر، فرحمه الله، رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وتغمده بواسع رحمته ومغفرته. واللهم لا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره، واغفر لنا وله.

بقلم: عطية فتحي الويشي

القرآن الكريم وتأثيره على وظائف أعضاء الجسم البشري

د. أحمد القاضي

• محاضر بجامعة الإمارات.
• باحث وكاتب صحافي.

حتى وقت قريب لم يكن هناك اهتمام زائد بالقوة الشفائية للقرآن والتي وردت الاشارة اليها في القرآن وفي تعاليم الرسول،

كيف يحقق القرآن تأثيره؟ وهل هذا التأثير عضوي أم روحي؟ أم خليط من الاثنين معا؟

ولمحاولة الإجابة على هذا السؤال بدأنا قبل ٢٥ عاماً إجراء البحوث القرآنية في عيادات (أكبر) في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا. وكان هدف المرحلة الأولى من البحث هو إثبات ما إذا كان للقرآن أي أثر على وظائف أعضاء الجسد وقياس هذا الأثر إن وجد. واستعملت أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس أية تغيرات فسيولوجية عند عدد من المتطوعين الأصماء أثناء استماعهم لتلاوات قرآنية. وقد تم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية، وكذلك عند عدد من غير المسلمين. وبالنسبة للمتحدثين بغير العربية، مسلمات كانوا أو غير مسلمين، فقد تليت عليهم مقاطع من القرآن باللغة العربية ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية.

وفي كل هذه المجموعات أثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهدىء مؤكد للقرآن في ٩٧ ٪ من التجارب المجراة . وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تدل على تخفيف درجة توتر الجهاز العصبي التلقائي. وتفاصيل هذه النتائج المبدئية عرضت على المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية الطبية الإسلامية في أمريكا الشمالية والذي عقد في مدينة سانت لويس بولاية ميزوري في أغسطس (آب) ١٩٨٤.

ولقد ظهر من الدراسات المبدئية أن تأثير القرآن المهدىء للتوتر يمكن أن يعزي إلى عاملين: العامل الأول هو صوت الكلمات القرآنية باللغة العربية بغض النظر عما إذا كان المستمع قد فهمها أو لم يفهمها وبغض النظر عن إيمان المستمع . أما العامل الثاني فهو معنى المقاطع القرآنية التي تليت حتى ولو كانت مقتصرة على الترجمة الانجليزية بدون الاستماع إلى الكلمات القرآنية باللغة العربية.

أما المرحلة الثانية لبحوثنا القرآنية في عيادات (أكبر) فتضمنت دراسات مقارنة لمعرفة ما إذا كان أثر القرآن المهدىء للتوتر وما يصاحبه من تغيرات فسيولوجية عائدا فعلا للتلاوة القرآنية وليس لعوامل أخرى غير قرآنية مثل صوت أو رنة القراءة القرآنية العربية أو لمعرفة السامع بأن ما يقرأ عليه هو جزء من كتاب مقدس. وبعبارة أخرى فإن هدف هذه الدراسة المقارنة هو تحقيق الافتراض القائل بأن الكلمات القرآنية في حد ذاتها لها تأثير فسيولوجي بغض النظر عما إذا كانت مفهومة لدى السامع. وهذا البحث يضم تفاصيل ونتائج هذه الدراسة.

المعدات

استعمل جهاز قياس ومعالجة التوتر المزود بالكمبيوتر ونوعه ميداك ٢٠٠٢ (ميديكال داتا أكويزين) والذي ابتكره وطوره المركز الطبي لجامعة بوسطن وشركة دافيكون في بوسطن. وهذا الجهاز يقيس ردود الفعل الدالة عام التوتر بوسيلتين إحداهما الفحص النفسي المباشر عن طريق الكمبيوتر والأخرى بمراقبة وقياس التغيرات الفسيولوجية في الجسد. وهذا الجهاز متكامل ويضم المقومات التالية :

- برنامج للكمبيوتر يشمل الفحص النفساني ومراقبة وقياس التغيرات الفسيولوجية وطباعة تقرير النتائج .
- كمبيوتر من نوع أبل ٢ إي مزود بقرصين متحركين وشاشة عرض وطابع.
- أجهزة مراقبة الكترونية مكونة من ٤ قنوات، قناتان لقياس التيارات الكهربائية في العضلات معبرة عن ردود الفعل العصبية العضلية وقناة لقياس قابلية التوصيل الكهربائي للجلد. وقناة لقياس كمية الدورة الدموية في الجلد وعدد ضربات القلب ودرجة حرارة الجلد.

وبالنسبة للتيارات الكهربائية في العضلات فإنها تزداد مع ازدياد التوتر والذي يسبب بدوره ازديادا في انقباض العضلات. ولقياس، هذه التغيرات يستعمل موصل كهربائي سطحي يوضع فوق عضلة الجبهة.

أما قابلية التوصيل للجلد فإنها تتأثر بدرجة إفراز العرق في الجلد فتزداد بازدياده وتقل بقلته ، والتوتر يزيد من إفراز العرق في الجلد ، وأما الهدوء وإزالة التوتر فيؤديان إلى نقصان الرطوبة في الجلد وبالتالي نقصان قابليته للتوصيل الكهربائي. ولقياس هذه التغيرات يستعمل موصل كهربائي حول طرف أحد الأصابع.

أما قياس كمية الدم التي تمر في الجلد إضافة إلى قياس درجة حرارة الجلد فيدل على مدى توسع شرايين الجلد أو انقباضها ويستعمل لقياس هذه التغيرات موصل كهربائي حساس يربط حول طرف أحد الأصابع وأية تغيرات في كمية الدم الجاري في الجلد تظهر مباشرة على شاشة العرض إضافة إلى سرعة القلب. ومع زيادة التوتر تنقبض الشرايين فتنخفض كمية الدم الجاري في شرايين الجلد وتنخفض درجة حرارة الجلد وتسرع ضربات القلب.

ومع الهدوء أو نقصان التوتر تتسع الشرايين وتزداد كمية الدم الجاري في الجلد ويتبع ذلك ارتفاع في درجة حرارة الجلد ونقصان في ضربات القلب.

الطريقة والحالات المستعملة

أجريت مائتان وعشرة تجارب على خمسة متطوعين صم ثلاثة ذكور وأنثيان ، تتراوح أعمارهم بين ١٧، ٤٠ سنة ومتوسط أعمارهم ٢٢ سنة.

وكل المتطوعين كانوا من غير المسلمين ومن غير الناطقين بالعربية. وقد أجريت هذه التجارب خلاله٤٢ جلسة علاجية تضمنت كل جلسة خمس تجارب وبذلك كان المجموع الكلى للتجارب ٢١٠. وتليت على المتطوعين قراءات قرآنية باللغة العربية الموجودة خلال ٨٥ تجربة، وتليت عليهم قراءات عربية غير قرآنية خلال ٨٥ تجربة أخرى، وقد روعي في هذه القراءات ، غير القرآنية أن تكون باللغة العربية المجودة بحيث تكون مطابقة للقراءات القرآنية من حيث الصوت واللفظ والوقع عام الأذن ولم يستمع المتطوعون لأية قراءة خلال ٤٠ تجربة أخرى، وخلال تجارب الصمت كان المتطوعون جالسين جلسة مريحة وأعينهم مغمضة، وهي نفس الحالة التي كانوا عليها أثناء المائة وسبعين تجربة الأخرى التي استمعوا فيها للقراءات العربية غير القرآنية.

ولقد استعملت القراءات العربية غير القرآنية كدواء خال من المادة العلاجية (بلاسيبو) مشابه للقرآن حيث أنه لم يكن في استطاعه المتطوعين المستمعين أن يميزوا بين القرآن وبين القراءات غير القرآنية، وكان الهدف من ذلك هو معرفة ما إذا كان للفظ القرآن أي أثر فسيولوجي على من لا يفهم معناه وإذا كان هذا الأثر موجودا فهو فعلا أثر لفظ القرآن وليس أثرا لوقع اللغة العربية المرتلة وهي غريبة على أذن السامع.

للقرآن الكريم أثر إيجابي واضح لتهدئة التوتر

أما التجارب التي لم يستمع فيها المتطوعون لأية قراءة فكانت لمعرفة ما إذا كان الأثر الفسيولوجي نتيجة للوضع الجسدي المسترخي أثناء الجلسة المريحة والأعين مغمضة.

ولقد ظهر بوضوح منذ التجارب الأولى أن الجلسات الصامتة التي لم يستمع فيها المتطوع لأية قراءات لم يكن لها أي تأثير مهدىء للتوتر، ولذلك اقتصرت التجارب في المرحلة المتأخرة من الدراسة على القراءات القرآنية وغير القرآنية للمقارنة.

ولقد روعي تغيير ترتيب القراءات القرآنية بالنسبة للقراءات الأخرى باستمرار فمرة تكون القراءة القرآنية سابقة للقراءة الأخرى، ثم تكون تالية لها في الجلسة التالية أو العكس.

وكان المتطوعون على علم بأن إحدى القراءات قرآنية والأخرى غير قرآنية ولكنهم لم يتمكنوا من التعرف على نوعية أية من القراءات في أية تجربة.

أما طريقة المراقبة في كل تجارب هذه الدراسة فاقتصرت على استعمال قناة قياس التيارات الكهربائية في العضلات وهي جزء من جهاز)ميداك(الموصوف أعلاه، مستخدمين في ذلك موصلا كهربائيا سطحيا مثبتا فوق عضلة الجبهة.

والمعايير التي تم قياسها وتسجيلها خلال هذه التجارب تضمنت متوسط الجهد الكهربائي في العضلة إضافة إلى درجة التذبذب في التيار الكهربائي في أي وقت أثناء القياس، ومدى حساسية العضلة للإثارة والنسبة المئوية للجهد الكهربائي في نهاية كل تجربة بالنسبة إلى أولها. وقد تم قياس وتسجيل كل هذه المعايير الكترونيا بواسطة الكمبيوتر.

والسبب في تفضيل هذه الطريقة للمراقبة هو أنها تنتج أرقاما فعلية دقيقة تصلح للمقارنة وللتقويم الكمي للنتائج .

وفي أية تجربة و أية مجموعة من التجارب المقارنة اعتبرت النتيجة إيجابية لنوع العلاج الذي أدى إلى أقل جهد كهربائي للعضلة، لأن هذا اعتبر مؤشرا لفعالية أفضل في تهدئة التوتر أو إنقاصه مقارنا بأنواع العلاج الأخرى المستعملة مع نفس المتطوع في نفس الجلسة.

النتائج:

كانت النتائج إيجابية في ٦٥٪ من تجارب القراءات القرآنية. وهذا يعني أن الجهد الكهربائي للعضلات كان أكثر انخفاضا في هذه التجارب مما يدل على أثر مهدىء للتوتر، بينما ظهر هذا الأثر في ٣٣٪ فقط من تجارب القراءات غير القرآنية.

وفي عدد من المتطوعين أمكن تكرار هذه النتائج كالإيجابية للقراءات القرآنية بالرغم من إعادة تغيير ترتيبها بالنسبة للقراءات الأخرى مما أكد الثقة في هذه النتائج.

مناقشة النتائج والاستنتاج من الدراسة:

لقد أظهرت النتائج المبدئية لبحوثنا القرآنية في دراسة سابقة أن للقرآن أثراً إيجابيا مؤكدا لتهدئة التوتر، وأمكن تسجيل هذا الأثر نوعا وكما. وظهر هذا الأثر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات، وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيرات في الدورة الدموية وما يصحب ذلك من تغير في عدد ضربات القلب وكمية الدم الجاري في الجلد ودرجة حرارة الجلد.

وكل هذه التغيرات تدل على تغير في وظائف الجهاز العصبي التلقائي والذي بدوره يؤثر على أعضاء الجسد الأخرى ووظائفها. ولذلك فإنه توجد احتمالات لا نهاية لها للتأثيرات الفسيولوجية التي يمكن أن يحدثها القرآن.

وكذلك فإن من المعروف أن التوتر يؤدي إلى نقص المناعة في الجسم واحتمال أن يكون ذلك عن طريق إفراز الكورتيزول أو غير ذلك من ردود الفعل بين الجهاز العصبي وجهاز الغدد الصماء ولذلك فإنه ومن المنطق افتراض أن الأثر القرآني المهدىء للتوتر يمكن أن يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة في الجسم، والتي بدورها ستحسن من قابلية الجسم على مقاومة الأمراض أو الشفاء منها وهذا ينطبق على الأمراض المعدية والأورام السرطانية وغيرها.

كما أن نتائج هذه التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن بذاتها وبغض النظر عن مفهوم معناها، لها أثر فسيولوجي مهدىء للتوتر في الجسم البشري.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن هذه النتائج المذكورة هي النتائج المبدئية لعدد محدود من التجارب المجراة على عدد صغير من المتطوعين .

وبرنامج البحوث القرآنية مازال مستمرا لتحقيق عدد من الأهداف نذكر منها التالي:

١- إجراء عدد أكبر من التجارب على عدد أكبر من المتطوعين لتأكيد النتائج الحالية.
٢- مقارنة أثر الكلمات لقرآنية بأثر المعاني القرآنية سواء باللغة العربية أو المترجمة.
٣- مقارنة تأثير الآيات المختلفة من القرآن مثل آيات الترغيب وآيات الترهيب.
٤- مقارنة تأثير القرآن بتأثير الوسائل العلاجية الأخرى المستعملة حاليا لتهدئة التوتر.
٥- اختبار أثر القرآن العلاجي الطويل المدى على وظائف المناعة في الجسم سواء منها المتعلق بالخلايا أو الأجسام المضادة في الدم.
٦- اختبار أثر القرآن العلاجي في حالات مرضية معينة وخاصة الحالات البدنية منها، وتمحيص هذا الأثر بالطرق العلمية الدقيقة.

ويتضح من المذكور أعلاه أن هذا البرنامج للبحوث القرآنية برنامج طويل ومعقد وسيتطلب عددا من الدراسات المستقلة وسيستغرق عددا من السنين لإتمامه. ولكنه كذلك موضوع في غاية من الأهمية ويبشر بنتائج طيبة نرجو أن تكون لها فائدة عملية مجزية.

فضل الزاد

حل إسلامي لأزمة الغذاء

د. أحمد القاضي

• محاضر بجامعة الإمارات.
• باحث وكاتب صحافي.

(من كان عنده فضل زاد فليعُد به على من لا زاد له).. كانت هذه دعوة انطلقت من المبعوث رحمة للعالمين، النبي صلى الله عليه وسلم، وروى الحديث الإمام أبو داود بسند صحيح.

وكان له صلى الله عليه وسلم - فيما نحسب - ثلاثة أهداف من وراء هذه الدعوة، وهي:

١- سد الحاجات الضرورية لأفراد الأمة، وعلى رأسها الطعام.
٢- الحفاظ على طابع التراحم والعطاء والتماسك الاقتصادي والاجتماعي لأبناء أمته.
٣- تقديم قاعدة راسخة للنمو الاقتصادي في الدولة الإسلامية.

هذه الأهداف بعضها في حاجة للتوضيح.. فالهدف الأول واضح بلا مراء، فهناك تفاوت اقتصادي في كل مكان من المعمورة، يلقي ظلاله، بل وتستقر قواعده في بلاد الإسلام، فمن يكون للفقير المسلم الذي لا يجد قوت يومه؟ لقد جعل الله ورسوله كفالة هذا الفقير من الواجبات التي يُثاب عنها المسلم أكبر الثواب، فهذه الصدقة التي تقع في يد الله تعالى -كما أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم- جعلت أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها لا تتصدَّق فقط، بل إنها حرصت على أن تطيِّب صدقتها قبل إعطائها للفقير، لعلمها أنها تقع في يد الله، وجعلت ابن عمر يتصدق بأكثر المؤن محبة إلى قلبه، اعتبارًا لقوله تعالي: ﴿لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وما أدراك أخي ما درجة البر التي وعد الله بها عباده!!

والهدف الثاني يمثل ذلك البذل الراقي، والعطاء الجميل الذي يتضافر معه طيب الخاطر، ورضا النفس، والطمع في رضا الله تعالى، تلك العوامل التي هي أسس بناء ذلك المجتمع المتماسك الذي وصفه لنا رب العزة سبحانه بقوله: ﴿بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾.. مجتمع كهذا لا يمكن أن يبيع كرامته من أجل لقمة العيش، ولا يرضى أبدًا بالذل والاستعمار من أجل سد جوعه، إنه جهد الأفراد الذي يصنع في مجمله صورة رائعة لمجتمع ودولة لا ذكْر فيها لمجاعة داخلية، أو استذلال خارجي مقابل المعونات، أو ما أشبه ذلك مما كثرت شواهده.

أما عن الهدف الثالث فنلاحظ أنَّ دين الإسلام لم يَنحُ منحى النظريات الاشتراكية في هدم نظام الطبقات، بل قَبِل التفاوت بوصفه المدخل الطبيعي لقبول العمل اليدوي الذي لا بد منه للإنتاج، مع الحفاظ على الطبقات الثرية التي توفر المشروعات التي تنتج فرص العمل.

لكن لم يكن معنى هذا أن الإسلام يوافق على صورة التفاوت الطبقي التي تقوم على استغلال الأثرياء للفقراء، فجعل للفقراء حقًا في مال الأغنياء ومتوسطي الحال، يتمثل حده الأدنى في فريضة الزكاة التي لا يصير المسلم مسلمًا حقًا إلا بأدائها، تاركًا البحث عن العتق من النار وعذاب الله يوم القيامة لمن يبذل المزيد من الزاد والمال لمن لا زاد له.

لماذا الطعام؟ ألا يكفي المال؟

من يطالع السنة النبوية يجد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد اهتم اهتمامًا كبيرًا بقضية التصدق بالطعام، جنبًا إلى جنب مع التصدق بالمال؛ مما أثار تساؤلا مهما: لماذا يحرص النبي على التصدق بالطعام بالذات؟ فنجده يقول -ويشير في أكثر من حديث-: «أيها الناس.. أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام»، ذلك الحديث الذي خصَّ التصدق بالطعام كأحد أسباب دخول الجنة، إضافة لما قدمنا به مقالنا هذا من حديثه صلى الله عليه وسلم: «من كان لديه فضل زاد فليعُد به على من لا زاد له»، وثمة أحاديث أخرى كثيرة تحث المسلم على هذا المجال، ليس هذا مقام حصرها، ويكفينا أن الأصل في زكاة الفطر أن تخرج زادًا لا مالا، وأن صدقة يوم الحج الأكبر ثلث الأضحية لا ثمنها، إضافة لتحديد كفارة اليمين أو الظهار في الإطعام في المرتبة الأولى.

وهنا نعيد السؤال: لماذا الاهتمام بإطعام الطعام؟

١- قد تكون من أولويات الفقير توجيه ما يحصل عليه من مال لمتطلبات يراها مهمة ويؤثر أن يبيت جائعًا، وهنا حرص الإسلام على سد هذه الحاجة الملحة، فاتحًا الباب أمام سبل التكافل الأخرى لسد حاجاتها المالية.
٢- قد يكون رب العائلة الفقيرة ممن يجور على أهل بيته باختصاص المال لنفسه بخلا، أو موجهًا إياه في غير مُستحق أو مُحَرَّم، وهنا نجد أن الأفضل -حماية له ولأسرته- أن يُعطَى طعامًا لا مالا.
٣- إن بذل الطعام أكرم للفقير من بذل المال؛ حيث قد يرى الفقير في إعطاء المال له إهانة، وهذا الصنف أشار إليه رب العزة بقوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾.
٤- يعد الطعام من الحاجات الأساسية للإنسان التي لا يمكن العيش بدونها، ولا يصبر عليها، ومن ثم فعندما يفقدها سيسعى للحصول عليها بصور تمس كرامته، مثل

من يطالع السنة النبوية يجد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد اهتم اهتمامًا كبيرًا بقضية التصدق بالطعام

السرقة، وذل السؤال، وكلا الأمرين ترفَّع الشرع بالفقير عنه، خصوصًا عندما كفل له اهتمام أمة الإسلام به.

نحو برنامج عملي للتطبيق

قرأنا من قبل أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل هذا الأمر الهيِّن (إطعام الطعام) أحد الطرق المؤدية لدخول الجنة، ليس هذا وحسب بل جعله سبيل دخول الجنة بسلام أيضًا، وهل يكره مسلمٌ أن يدخل الجنة بسلام من دون مناقشة حساب أو سابقة عذاب؟!

وقد يبدو الأمر من السهولة بمكان بحيث يتساءل أخي القارئ: وهل يحتاج تطبيق الأمر إلى برنامج عملي يساعدنا على تنفيذه؟

والحق أن هناك عدة اعتبارات جعلتنا نطرح الأمر بهذه الزاوية، وهي:

١- في الدول الإسلامية الميسورة اقتصاديًا صار إطعام الطعام من الأمور التي تعد عيبًا في حق من يقبلها، بالرغم من أن هذه المجتمعات لا تخلو من فقراء.
٢- في الدول العربية والإسلامية الفقيرة انتشرت ظاهرة التسول، وأضحى العرف أن التصدق إنما يقتصر على هؤلاء المتسولين، وينسى أهل هذه الدول جيرانهم المتعففين.

٣- هناك عدد كبير من سنن الإسلام وشرائعه الحسنة قد تلاشى أو تغيب عن الممارسة، ومن هذه القيم الغالية (إطعام الطعام)؛ وهو ما يجعلنا نحتاج إلى العودة بها للمجتمع في إطار الدعوة الإسلامية.
٤- أنه بالنظر للحال في الدول التي تعاني من أزمات اقتصادية نجد أن أجهزة الدولة المعنية بتقديم الإعانات لا تطيق حصر الحالات التي تحتاج فعلا.. إما تقصيرًا من هذه الأجهزة، أو لعدم وجود موارد، أو لتعفف المتعففين عن السؤال؛ وهو ما يجعلنا نفكر في طرح برنامج عملي لتنفيذه.

برنامج فردي

١- يمكن للفرد المسلم أن يقوم بهذا المشروع منفردًا، ويفضل أن يتعرف على جار مسلم يثق فيه ليساعده.
٢- يتم تحديد الأشخاص الذين يحتاجون للمساعدة من خلال الزيارات العائلية غير المتكلفة بين الجيران بصورة لا يتضح من خلالها غرض الزيارة للحفاظ على المشاعر.
٣- يفضل أن تكون وحدة العمل هي المنزل الواحد متعدد الطوابق؛ بحيث يقوم راعي المشروع ومن يساعده بالاشتراك في نشر هذه السُّنة الحسنة.
٤- يمكن للقائم على هذا البرنامج أن يبدأ مع جيرانه في المنزل بالتنسيق مع من يساعده، من خلال اتفاقهم على إشعار المحتاج، بأنهم اعتادوا تقديم الأطعمة لبعضهم البعض في إطار الود المتبادل.
٥- يفضل أن يكون الطعام مطهوًّا وليس غير ذلك، على الأقل في المرحلة الأولى من المشروع.
٦- يراعى في هذا المشروع أن يكون عدد المكفولين يتناسب مع قدرة القائم بالمشروع، وبما يتوافق مع قدرات أهل بيته ومن يعاونه على الإنجاز.
٧- على القائم بالمشروع أن يحاول إقناع نظرائه من الميسورين أن يكفل كل منهم بيتًا أو بيتين.
٨- يمكن أن تكون وحدة تنفيذ المشروع هي الشارع الذي يقطن فيه صاحب الفكرة، إن لم يكن في منزله مَن يستحقون هذه الكفالة، ويتم التوسع بحسب القدرة.
٩- على كل قائم بالمشروع أن يتوجه إلى الله بالدعاء بأمرين: أن يتقبل منه البذل الذي يبذله، وأن يفتح له قلوب المكفولين فيتقبلوا منه هذا الجهد.

برنامج جماعي

لا يخفى على إخواننا القراء أن البرنامج الفردي قد يواجه عقبات كثيرة، منها:

١- أنه يصلح للأحياء السكنية المختلطة طبقيًا، أي التي يسكن فيها ميسورو الحال إلى جوار المعسرين، ومن ثم لا يصلح للأحياء التي ينفصل فيها هؤلاء عن أولئك.
٢- يصلح هذا البرنامج الفردي في المنازل التي يتجاور فيها الميسورون والمعسرون؛ فطابع المدن الحديثة يؤدي لضعف اتصال المرء بجيرانه، فما لم يكن الجار قريبًا فإنه من العسير مزاولة هذا المشروع بصورة فردية.

هذان الاعتباران يجعلان من الضروري تنفيذ هذا المشروع في إطار جماعي، والإطار الجماعي الذي نقصده يتمثل في لجان البر المنتشرة في المساجد أو التي يمكن إنشاؤها في المساجد، وتوسيع نطاق عملها لتضم عدة مشروعات، من بينها مشروع فضل الزاد،

وخطوات المشروع كما يلي:

١- الاتصال بلجان الزكاة أو لجان البر المنتشرة في المساجد المحيطة، وما لم تكن موجودة يمكن إنشاؤها.
٢- يُفضَّل أن تركز كل لجنة مسجداً على الشارع الذي يتواجد به المسجد لغرض تحقيق الكفاية، ومتى تحققت الكفاية يمكن توسيع نطاق النشاط.
٣- من المهم بناء قاعدة بيانات مصغرة حول الأُسر التي تحتاج التوجه إليها بهذا النشاط، ويقوم بجمع هذه المعلومات جيران المحتاجين أنفسهم وليس غرباء عنهم،

وتتضمن قاعدة البيانات هذه ما يلي:

١- دخل الأسرة من خلال عائلها فقط؛ حيث ينبغي عدم اعتبار عمالة الأطفال.
٢- النفقات الضرورية لهذه الأسرة، ومدى تغطيتها لكل الاحتياجات الأساسية : السكن والملبس، والتعليم... إلخ، وما يتبقى لتغطية احتياجات الطعام.
٣- تحديد عدد أفراد الأسرة لتحديد حجم الغذاء الذي تحتاجه.
٤- ينبغي بناء قاعدة بيانات ثانية مصغرة، حول مَن يمكنهم القيام بكفالة هذه الأسر في إطار هذا المشروع، على أن تكون البيانات المجموعة متمثلة في حجم ما يمكن أن يخصصه كل كفيل للإنفاق في هذا المشروع.
٥- ينبغي التأكيد على أن تكون قاعدة البيانات المذكورة بالغة السرية، ولا يطلع عليها إلا الأمين كاتم السر.
٦- يمكن أن تكون (الأزواد) المقدمة في هذا المشروع غير مطهوة بسبب اتساع حجم النشاط.
٧- يجب أن يتوخى القائمون على هذا المشروع تحقيق كفاية الأسر المكفولة عينيًا؛ فلا يتوسعون في عدد الأسر المكفولة إلا بعد تحقيق الكفاية للأسر الموجودة بالفعل؛ فكميات الغذاء المقدمة يجب أن تكون كافية لإعالة هذه الأسر تمامًا.
٨- السعي لزيادة عدد الكفلاء من خلال الاهتمام بالدعوة إلى الإسلام، والتركيز على التطبيقات الاجتماعية للإسلام، التي تتجاوز العبادات إلى إقامة المجتمع المسلم الفاضل.
٩- يُفضَّل إعداد مستخلص بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتفسيراتها، وتعليمها للقائمين على هذا المشروع؛ ليتمكنوا من إدارة المواقف التي تدور بينهم وبين الكفلاء أو المكفولين، سواء في حالة تعفف المكفولين أو طمعهم... إلخ.
١٠- يجب الفصل بين هذا المشروع وغيره من المشروعات الدعوية أو السياسية التي قد ينخرط فيها أي من القائمين على أمور المسجد الذي ينفذ هذا المشروع؛ فهذا المشروع ينبغي ألا يكون مشروطًا أو مرتبطًا بأي توجه سياسي يستغل المشروع في جمع المؤيدين والمناصرين أو كسب أصوات انتخابية.
١١- يجب ألا ينسى أصحاب هذا المشروع التوجه إلى الله بالدعاء بالقبول والتيسير؛ فالدعاء يضبط النفس، ويصحح الأداء، ويجلب البركة والتوفيق.

وأخيرًا فإن هذا المشروع مرن قابل للتمدد لتغطية احتياجات المسلم الفقير في الأونة المعاصرة من تعليم إلى ملبس... إلخ، خاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وسع لنا نطاق التعاطي مع هذا المشروع، حين قال في أول الحديث: (من كان عنده فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له).

وبعد..
فإن التغيرات الاقتصادية التي يشهدها العالم سوف يكون لها ضحايا كثيرون؛ وهو ما يزيد من أهمية هذه المشروعات والحاجة إليها؛ والله الموفق.

إطلالة على الإعجاز في القرآن والسنة

د. أحمد القاضي

• محاضر بجامعة الإمارات.
• باحث وكاتب صحافي.

يشغل الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية الباحثين والعلماء في الدراسات الإسلامية، في هذه الأيام، أكثر من أي وقت مضى، وخاصة (الإعجاز العلمي).
ولذلك أسباب منها:

أن الإسلام وعقائده ورموزه يتعرض لهجمة شرسة تريد اقتلاعه من النفوس، وإبعادَ أصحابه عنه؛ لأسبابٍ سياسية واقتصادية، ورغبةً في الهيمنة على أرضه وثرواته، وهم يعلمون ما له في النفوس من قوة وأثر، قدرت في الماضي على صد كل الهجمات القادمة من الخارج، والصمود في زمن المحن، والصبر على الشدائد، حتى تَمَّ إبعاد الخطر عن ديار الإسلام، ومن هنا كانت شراسة الحملة وعنفوانها ومساحتها وتصميمها على هدمه في النفوس؛ لتتحقق أهدافها.

أما الكشوف العلمية التي جاءت في هذا العصر برهانًا قاطعًا وصادقًا يؤيد حقائق القرآن الكريم والسنة النبوية في تطابق عجيب، عن الإنسان والنبات والكون، فقد أهدت المؤمنين بالإسلام - دعاةً ومهتمين وأفرادًا - سلاحًا فاعلاً وفعالاً في الدعوة إلى الإسلام، وتجديد إيمانهم، وتعزيزه في النفوس، وإمدادهم بالطاقة؛ للثبات على دينهم وسط العواصف المزمجرة، والأنواء الهادرة، واستقبال أعداد كبيرة من الداخلين في الإسلام؛ لما يجدون فيه من القدرة على إنقاذ

البشرية وهدايتها إلى الحق، وأنه كلمة الله إلى الإنسانية جمعاء.

وهكذا وجد الباحثون مادة تستأثر باهتمام الناس، يؤيد ذلك الجموع الغفيرة التي تستمع إلى محاضرات الإعجاز، وما يحظى به الموضوع من اهتمام في الصحف والمجلات والمؤتمرات، التي تناقش كل جديد في هذا الميدان.

ولدى مطالعة الباحث لموضوع (الإعجاز) في مراجعه قديمًا وحديثًا تَرَاكَم لَدَيْه كَمٌّ هائل من المعلومات، تشكل تراثًا متراكمًا ومتكاملاً ومتباينًا أحيانًا.

والإعجاز في صوره المختلفة - البياني والعلمي والتشريعي والعددي، وغيرها - ليس بنفس المستوى من الدلالة على موضوعه وقدرته على التأثير، كما أنها ليست في اتفاق بين الباحثين.

الدكتورة عائشة عبدالرحمن، في كتابها (التفسير البياني للقرآن) تستقصي رحلة الإعجاز والتحدي، من بدايتها إلى الوقت الحاضر، وقد فرَّقت بين (الإعجاز والتحدي)، كمفهومين جاءَا متلازمين؛ لإعطاء كل مصطلح دلالته، وميدان عمله.

تقول: (فمن حيث هو معجز (القرآن) الأمر فيه واضح بيّن لكل ذي سليقة عربية أصيلة، وإدراك الإعجاز كان ميسرًا لهم جميعًا في عصر المبعث، لا ينفرد به خاصة بلغائهم دون العامة، وما تلا المصطفى آيات معجزته وهو يُقَدِّر أن البلغاء وحدهم هم الذين يدركون إعجازها، أمَّا من حيث تحدِّيهم أن يأتوا بسورة من مثله فتلك قضية أخرى تخص أبلغ بلغائهم، ومن يظاهرونهم من جِنٍّ فيما زعموا).

(ونوجز القول بين إدراك المعجزة والتحدي: أن الشاعر العربي كان يقول قصيدته، فيتلقاها جمهور المستمعين بالإعجاب والتقدير، أو الصد والتهاون، وأما أن يعارضها آخر منهم، فذلك مقصور في أقرانه من الشعراء، لا يَعْدُوهم إلى عامة القوم).

ونعيد إثبات هذا الرأي لنبيّن معنى الإعجاز، والذي يعني أن القرآن مفارق لكلام البشر، وأنه كلام الله، وأن لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله، قلَّ أو كثر ذلك المثل، ثم عطف إلى التحدي، وهو وإن كان موجهًا إلى البشر والجن، فإن المعنى بهذا التحدي هو من يتوهم في نفسه، ومن يظاهره من الجن أنه قادر على مضاهاة القرآن.

وأينما ولَّيْت وجهك في آثار الباحثين تجد تلازمًا بين الإعجاز والتحدي، وإذا قسْناه بما جاءت به بنتُ الشاطئ، وجدنا بعضه لا يتَّسم بهذه الدقة.

وكما ترى الدكتورة بنت الشاطئ: أن مجرد سماع القرآن الكريم كان كفيلاً لإدراك العربي - حين ذاك - بأن هذا الذي يسمعه هو كلام غير كلام البشر، فإن الرافعي يذهب المذهب نفسه في ذلك.

يقول الرافعي: (ولما كان مرجع تقدير الكلام في بلاغته وفصاحته إلى الإحساس وحده، وخاصةً في أولئك العرب الذين، من أين تأَمَّلْتَهم ورأيتهم، كأنما خلقوا خَلْقًا لغويًّا، وكان القرآن الكريم قد جمع في أسلوبه أرقى ما تحس به الفطرة اللغوية من أوضاع البيان، ومذاهب النفس إليه، فقد أحسوا بعجزهم عما امتنع مما قبله، وكأن كل امرئ منهم كأنه يحمل في قرارة نفسه برهانَ الإعجاز، وإن حمل كل إفكٍ وزورٍ على طرف لسانه). (إعجاز القرآن، ص١٩١-١٩٢).

ولهذا انقطعوا عن المعارضة مع تحديهم لها على طول المدة وانفساح الأمر، وعلى كثرة التقريع والتأنيب، وعلى تصغير شأنهم وتحقيرهم، وذلك بالنزول عن التحدي بمثل القرآن كله، إلى عشر سور مثله، إلى عشر مفتريات لا حقيقة فيها، إلى سورةٍ واحدةٍ من مثله، ولو هم أرادوا هذه السورة الواحدة ما استطاعوها.

محمود شاكر والإعجاز:

(وكان هذا القرآن ينزَّل منجمًا، وكان الذي نزل عليه يومئذ قليلاً كما تعلم، فكان هذا القليل من التنزيل هو برهانه الفرد على نبوته. وذلك القليل منطوٍ على دليل مستبين قاهر، يحكم له بأنه ليس من كلام البشر، وبذلك يكون دليلاً على أن تاليَه عليهم - وهو بشر مثلهم - نبي من عند الله، مرسل من وجه واحد، وهو وجه البيان والنظم).

(ومن ذلك الوجه طولب العرب بالإقرار والتسليم، ومن هذا الوجه تحيَّرت العرب فيما تسمع من كلام يتلوه عليهم رجل منهم، تجده من جنس كلامها؛ لأنه نزل بلسانهم، لسانٌ عربيٌّ مبينٌ، ثم تجده مباينًا لكلامها، فما تدري ما تقول فيه من طغيان اللَّدَد والخصومة).

(وظل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ثلاثة عشر عامًا، والمسلمون قليل مستضعفون في أرض مكة، وظل الوحي يتتابع وهو يتحدَّاهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم بعشر سور مثله مفتريات، فلما انقطعت قواهم، قطع الله عليهم وعلى الثقلين جميعًا منافذ اللَّدد والعناد؛ فقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).

وهذا البلاغ الحق الذي لا معقب له من بين يديه ولا من خلفه، هو الذي اصطلحنا عليه فيما بعد وسمَّيناه (إعجاز القرآن)، وأين مكمن الإعجاز؟

(إن الإعجاز كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه)، ويرى شاكر رأيًا لا بد من إثباته، فيما احتواه القرآن الكريم من حقائق في الخلق أو في الكون.

يقول: (إن ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلاً على أنه من عند الله تعالى، ولكنه لا يدل على أن نظمه وبيانه مباينٌ لنظم كلام البشر وبيانهم، وأنه بهذه المباينة كلام رب العالمين، لا كلام بشر مثلهم).

هل نستطيع الآن أن نقول بأن مصطلح (الإعجاز العلمي) أو العددي أو التشريعي أو غير ذلك مما يتابع هذا القول - ليس من (إعجاز القرآن)، بل هي أدلة على أن القرآن الكريم هو من عند الله، مما يستدعي إعادة بناء المصطلح؛ ليكون دالاً على موضوعه؟

إن ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز

الرأي الآخر:

منذ بداية النهضة الحديثة أشفق كثير من العلماء والمفكرين من ربط آيات القرآن ببعض حقائق العلم الحديث؛ خشيةً من التطورات التي تطرأ على النظريات العلمية، فينعكس ما بها من أخطاء أو نُبوءات لم تحقق على صدق الخبر القرآني. ولكن الذين تحمسوا لتلك العلاقة الرابطة، فرقوا بين حقائق العلم التي ثبتت وتحققت بالتجربة، وبين الفروض التي لا تَعدُو أن تكون رأيًا مفسرًا لم يثبت بعد.

ومن الذين يرون في (الإعجاز) مدلولاً أوسع الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، فهو يقول: (وكون القرآن معجزةً، ليس من جهة بلاغته وفصاحته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، بل هو آية بيِّنة معجزة من وجوه متعددة: من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، من جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى، وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا يناقض ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له).

ويرى الرأي ذاته، الداعية الإسلامي أحمد ديدات، يرحمه الله، فيقول: (إن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى، وإنه كتاب الإعجاز الذي يفسَّر من عدة وجوه، وقد حاولت من خلال مجموعة من الأفكار البسيطة أن أوضح هذا الأمر الذي أثَّر فيَّ، وأنا إنسانٌ عاديٌّ غير متخصِّص، ولا توجد نهاية لهذه الأبحاث والدراسات).

ويرى الشعراوي رأيًا متميزًا في وجاهته وأسانيده: (ولكن التحدي في القرآن ومعجزاته ليست للعرب وحدهم، بل هي للعالم أجمع، والقرآن جاء لكل الناس وكل الألسنة، فأين التحدي لغير العرب، ثم هذا الكتاب سيبقى إلى أن تقوم الساعة، فلا بد أن يحمل معجزة للعالم في كل زمان ومكان، ومن هنا كانت هناك معجزات للقرآن وقت نزوله وبعد نزوله، وهي مستمرة حتى يومنا هذا، وستستمر إلى قيام الساعة؛ لتظهر لنا آيات الله في الأرض).

وفي نفس هذه المدرسة التي ترى للإعجاز وجوهًا، وليس وجهًا واحدًا يُطل علينا د. زغلول النجار، وهو من أكثر العلماء من أصحاب العلم الطبيعي (الجيولوجيا) اشتغالاً بالدعوة إلى الله، سالكًا طريق (الإعجاز العلمي) في القرآن الكريم، في أسلوب وبيان ساحرَين، يُعَرِّف (الإعجاز العلمي): (أما موضوع الإعجاز العلمي، فهو موقف من مواقف التحدي، الذي نريد أن نُثْبت به للناس كافة أن هذا القرآن الذي أُنْزل قبل ١٤٠٠ سنة على النبي الأمي، في أمة كان غالبيتها الساحقة من الأميّين - يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يستطع العلماء إدراكه إلا منذ عشرات قليلة من السنين، هذا السبق يستلزم توظيف الحقائق، ولا يجوز أن توظف فيه الفروض والنظريات إلا في قضية واحدة: هي قضية الخلق، والإفناء، وإعادة الخلق: خلق الكون، وخلق الحياة، وخلق الإنسان، وإفناء كل ذلك، وبعثه من جديد؛ لأن هذه القضايا لا تخضع للإدراك المباشر للإنسان، ومن هنا فإن العلم التجريبي لا يتجاوز فيها مرحلة التنظير).

رأي البوطي في الإعجاز التشريعي:

الإعجاز التشريعي - كما يراه المشتغلون بالإعجاز - يكمن في فاعلية العقوبات والتنظيم، الذي أقَرَّه القرآن في العلاقات

الإنسانية في مجالات الحياة المختلفة، واتساقها مع الفطرة، وتأثيره في تنظيم المجتمع، ودفن دواعي الخلاف، ولكن البوطي يرى أن المجتمعات الإنسانية في مسيرتها التطوُّرية تحتاج إلى القوانين والأنظمة، فتصوغها عندئذ في حين أن الإسلام صاغ القوانين - أحكام الشريعة - أولاً، ومن ثَمَّ كانت حركة المجتمع على هذه الأحكام.

آراء شوقي ضيف:

ويرى شوقي ضيف في كتابه (معجزات القران) أن للقرآن معجزةً لم يتنبَّه إليها السابقون، ألا وهي معجزة (التلاوة والاستماع)، ويستشهد عليها بما كانت قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في دعوته للإسلام تَفعَل في النفس، وتحول المستمع إلى الإسلام، أو في سماعهم أو قراءتهم للقرآن، كما حدث مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه.

يقول في معنى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم رأيًا آخر: (وهذا التحويل الواسع للأمة بإخراجها من عالم الجهالة إلى عالم العلم؛ بفضل عرض القرآن خلق الله للكون، وتدبيره لكل شيء في سمائه وأرضه، بل حث الإنسان على العلم وجعله واجبًا عليه، بل فريضة يؤديها كما يؤدِّي عبادة ربه، هذا التَّحويل العظيم - في رأينا - الإعجاز العلمي الذي أراده الله لعباده المسلمين وبثَّه في عقيدتهم، واستحال به الرسول إلى معلِّم كبير يعلم الصحابة علوم تفسير القرآن والحديث والفقه).

أخبار القرآن الكريم ونبوءاته:

(الإعجاز العلمي) بالمفهوم الذي يعطيه الاصطلاح المعتمد وغيره، من أوجه الإعجاز التي تعددت، كما يراها أصحاب هذه المدرسة، إنما هي تأتي بالبرهان المادي العلمي على صدق الإخبار القرآني.

وهكذا فهي تنشئ إيمانًا في نفس غير المسلم، فيتحول إلى الإسلام ويصير مسلمًا مؤمنًا بما جاء في القرآن الكريم؛ فتقوده معلومة واحدة إلى تصديق كل ما جاء به الإسلام؛ لذا فهو سلاح من أسلحة الدعوة إلى الله في هذا العصر، الذي يأتي العلم فيه بالعجائب في كل ميادين الحياة، ويأخذ بألباب الناس ويقودهم إلى المعرفة، فهذه سمة العصر، هذا بعض ما يراه النَّجار، ومالك بن نبي، ومن ذهب مذهبهم.

أما المسلم فتزيده إيمانًا، وتجدد شعلة الإيمان في نفسه، وتمده بالطاقة للصمود في وجه الشبهات والدعوات، التي تدفعه إلى هنا وهناك بعيدًا عن جادة الإسلام، والمسلم آمَنَ بكل ما جاء في القرآن الكريم بما يسمى (التصديق الإيماني)، وما البرهان العلمي إلا مؤيدًا صدقَ الحقيقة القرآنية، يقيم في النفس طمأنينة المشاهدة الفعلية على الإيمان، الذي قام في الصدر قبل ذلك.

للقرآن معجزةً لم يتنبّه إليها السابقون، ألا وهي معجزة (التلاوة والاستماع)

تساؤل إبراهيم عليه السلام:

وما أثر الإعجاز العلمي وغيره من أوجه الإعجاز الأخرى في نفس المسلم إلا أنها في سياق تساؤل إبراهيم - عليه السلام - وكما يرد الحوار القرآن الكريم:

قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، قال: ﴿بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، واستجيب لطلب إبراهيم، ورأى بأم عينه: كيف يحي الله الموتى.

وكذلك كانت إجابة الحق على تساؤل العُزَير عندما قال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، وجاءه البرهان بعد مائة عام؛ ليقول: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ولقد كان إبراهيم مؤمنًا بقدرة الله - سبحانه وتعالى - ولم يخالجه شك في ذلك، وكذلك العُزَيْرُ، ولكنه انتقل بالبرهان من التصديق الإيماني إلى يقين المشاهدة.

وهكذا فإن السياق يسلمنا للإيمان بكل الأخبار التي سوف تتكشف للإنسان في رحلته على الأرض، وفي جوفها مقبورًا، وفي بعثه ليقوم للحساب والمساءلة، ومثوله أمام الله مسؤولاً عما فعل في دنياه، وفي سوقه إلى النار أو الجنة، وما يلاقيه كل نزيل فيهما، وما يصير إليه الكون بعد ذلك على مشيئة الخالق الواحد الأحد. وإذا كانت الآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ (فصلت: ٥٣) قد جاءت في إقناع الناس ليدخلوا في دين الله، وينبذوا شركهم - وعدًا مستقبليًّا بانكشاف الأدلة التي تؤيد حقائق القرآن عند النزول، فإنها أيضًا وفي الاستدلال على صدق نسبة القرآن الكريم كلامًا لله - سبحانه وتعالى - دالة على موضوعها، في تحقيق الوعد الإلهي.

ولقد أخبَر القرآن الكريم عن وقائع حدثت في الزمن الماضي: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ (القصص: ٤٤)، ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ

آيَاتِنَا﴾ (القصص: ٤٥)، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: ٤٤).

وأخرى ستقع في المستقبل، والقرآن يتنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ (القلم: ١٦): جاءت في الوليد بن المغيرة، وقد تحقق ذلك بعد نزوله في بدر، عندما قتل فرئي موسومًا على خرطومه، كما جاء في القرآن قبل ذلك.

و﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥): نزلت والمسلمين في مكة قلَّة، فقال عمر بن الخطاب: (أيُّ جمع هذا الذي سيهزم، ونحن لا نستطيع أن نحمي أنفسنا)؟ وتحقق ذلك فيما بعد بنصر المسلمين في بدر، والإشارات الكونية ترى في القرآن الكريم في أكثر من ألف آية كما يقول د. زغلول النجار، وقد جاء العلم الحديث يصدق محتوى هذه الآيات.

والحقيقة التي لا بد من الاعتراف بها: أن كشف العلم الطبيعي عن بعض الحقائق في الكون، مما جاء عنه خبر أو إشارة في القرآن الكريم مطابقًا وموضحًا - هو أمر محمود في صالح قضية التدين، وتعميق الإيمان بخبر السماء الصادق لما جاء في القرآن الكريم، وسببًا مباشرًا لكسب المزيد من الناس لاعتناق الإسلام والانتماء إلى أمته، من أي زاوية نظرنا إليه.

ومن أراد الوقوف على أسرار الإعجاز العلمي، فعليه أن يقرأ كتاب د. زغلول النجار: (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) بجزأيه، بتقديم أحمد فراج؛ ليجد فيه التوافق المذهل بين حقائق القرآن والسنة ومعطيات العلم الحديث.

الإعجاز والمعجزة في السنّة النبوية:

إعجاز السنة النبوية يأتي بنفس المفهوم في إعجاز القرآن الكريم؛ فهو موقف من مواقف التحدي، الذي يقيم العلم الحديث البرهان عليه، كما في حديث: (عجب الذنب)، و(أمراض شيوع الفاحشة).

وأما معجزات الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهي (الوقائع التي جرت على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خارقة العادة، لا تأتي إلا من مؤيد من الله، إثباتًا ودليلاً وتأييدًا لنُبُوَّته مثل: انشقاق القمر، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى، وغير ذلك).

ولا بد لنا، وقبل أن نغادر هذه الحديقة الغنّاء أن نعرج على زاوية رحبة، أودع فيها المفكر الإسلامي: مالك بن نبي إحدى روائعه الفكرية (الظاهرة القرآنية)، يلخصها د. ابن عيسى باطاهر، من جامعة الشارقة، كما يلي:

١- الإعجاز في تصور مالك: هو الحُجَّة التي يقدمها النص القرآني؛ لإثبات حقيقته ومصدريته الإلهية، وأنه معجز فوق الطاقة البشرية، وهو جوهر القرآن، ومقصد من مقاصده، ووسيلة من وسائل تبليغ رسالته.
٢- يشترط في الإعجاز أن يكون خارقًا للعادة، وفوق الطاقة، وأن يكون في مستوى إدراك جميع المخاطبين، وأن تأثيره بقدر ما في تبليغ الدين من حاجة إليه، وهذه الشروط لا تتوافى اليوم إلا في القرآن الكريم.
٣- مَرَّ الإعجاز بثلاث مراحل مختلفة في تاريخ المسلمين، فكانت مرحلة التذوق الفطري في زمن النزول، ثم تلتها مرحلة التذوق اللغوي في القرن الثالث الهجري، واستمرت حتى العصر الحديث الذي شهد مرحلة التذوق العلمي، ولكل مرحلة من هذه المراحل رسائلها الخاصة في إدراك الإعجاز وتذوقه.

وترى د. عائشة عبدالرحمن: أن انشغال الدارسين بالقرآن الكريم على مر العصور - هو وجه من وجوه الإعجاز، وكما قال مالك بن نبي: (بقي الإعجاز مع القرآن؛ لأنه من جوهره، وليس من توابعه).

وأقول: إن العناية بالقرآن الكريم ودراسته من أوجب الواجبات على القادرين من المسلمين؛ فهو كتاب الله وحجته على عباده، وهو كلام الله الوحيد الذي يسمعه كل ما في الكون، وهو أمانة بين أيدي المسلمين تكفَّل الله بحفظه، وهو تكريم كرَّمنا الله به، وشرَف شرَّفنا الحق به، والقرآن - على الحقيقة - لا تنقضي عجائبه، ولما أوغلت البشرية في علومها المادية، وحققت الكشوف والانتصارات الباهرة، ازدادت حاجتها إليه؛ لأنه يردها إلى الخالق العظيم، الذي صنع الموجودات كلها، وأودع فيها نظامها على النسق المبهر الذي يكتشفه الإنسان.

وكلما قرأت قول الحق: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٧٧)، رددت إلى الحقيقة البدهية التي غابت عن إنسان العصر، إن ما يقدمه الإنسان اليوم من الكشوف العلمية إنما هو استقراء لصفحة الكون، الذي أبدعه الخالق العظيم - سبحانه وتعالى،، والله أعلم.

الموهبة الثقافية عند الأطفال

أ . بهاء الدين عبد الله الزهوري

• كاتب متخصص في أدب الأطفال.
• باحث في دراسات الطفولة.
• عضو اتحاد الكتاب العرب.

ظاهرةَ الطفل الموهوب لفتتْ نظر المفكرين والمربين منذ أقدم العصور ، وحاوَل البعض أن يقدم تفسيراتٍ شتى لهذه الظاهرة، كما أسست مصطلحات للدلالة عنها : كالعبقرية والنبوغ والإبداع.

وفي الواقع أن الموهوب يختلفُ عن المبدع. فالموهوب هو الذي يملك قدرةً عقلية عالية ، أما المبدع فيتسم بالإنجاز الجديد الأصيل. وينظر علماء النفس في أثناء تعاملهم مع الموهوبين إلى المستقبل، في حين ينظرون إلى الماضي في أثناء تعاملهم مع المبدعين، وكأنهم في حال الموهوبين يضعون الإعداد والرعاية والتوجيه نصب أعينهم، كي يتمكنوا من الاستفادة المستقبلية من هؤلاء الموهوبين.

فالأطفالُ الموهوبون ذخيرةٌ يجب أن تصان، ولا يجوز أن تهمل، فهم القوةُ التي تدفع بالبشرية إلى الأمام، وهم القلم الذي يكتب التاريخ ، وهم وديعةُ الوطن وثروته.

الموهوبون:

يختلف علماء النفس والتربية في تعريف الموهوبين، إلا أنهم يتفقون على أن التفوقَ العقلي، وارتفاع نسبة الذكاء، هما أساس التعرف عليهم. وقد أثبت علماء النفس: أن نسبةَ الذين تقلُ نسبةُ ذكائهم عن٦٪ من حاصل الذكاء وهم المتخلفون عقلياً – تصل إلى ٢,٥٪ من مجموع أفراد أي مجتمع، في حين أن الذين تتراوح نسبةُ ذكائهم بين ٩٠-١١٠ وهم متوسطو الذكاء - تصل نسبتهم إلى حوالي٥٠٪، وأما الذين تزيد نسبة ذكائهم عن١٣٠٪ وهم المتفوقون عقلياً – فلا يتجاوزون٢,٥٪ من مجموع أفراد المجتمع. وبذلك يمكن تعريف الموهوب : بأنه الفرد الذي تزيد نسبة ذكائه عن ١٣٠٪ من حاصل الذكاء .

وصفة (الموهوب) تعني قدرةً عقليةً عالية جداً. وتدل الموهبة على أولئك الذين يملكون بعض القدرات الخاصة بشكل متميز، مثل الرسم، والشعر، والكتابات الإبداعية، والرياضة، والحرف اليدوية، والمهارات الميكانيكية، والقيادة الجماعية.

وتؤكدالبحوث الحديثة أن الموهبةَ ذاتُ صلة بالذكاء ، وأن أصحاب المواهب إن توافرت لهم ظروفٌ بيئية ساعدت على إنماء ما لديهم من طاقة عقلية ، وتمايزها في اتجاه الموهبة، وأن نجاح الفرد يثير لديه قدراً مناسباً من الدافعية للمثابرة والدأب ، وهذا بحد ذاته يحققُ للفرد أداء متميزا في المجال الذي برزت موهبته فيه.

دلالات الموهبة الثقافية:

إن الموهبةَ الثقافية تقاس بدلالاتها الخارجية، كالتفوق في القراءة، والتعبير، والميل إلى المطالعة، وتذوق الجمال في

النصوص المكتوبة والمسموعة، والقدرة على مخاطبة الآخرين وإيصال الأفكار إليهم، والمساهمة في النشاط اللغوي العام، والاندفاع الذاتي للنقد والحكم والتحليل. وهذهُ الدلالات التي تعلنَ السلوك الثقافي، يصعب تحديد أسبابها، لأنها عملٌ تراكمي يحتاج إلى سنوات طويلة.

وثمة اقتراح تقدم به الدكتور سمر روحي الفيصل في كتابه (ثقافة الطفل العربي)، يحدد فيه الدلالاتِ التالية للموهبة الثقافية، وأراه مناسباً:

رعايةَ الموهبة الثقافية غير مقصورة على الاهتمام بالطفل الموهوب والتعاطف معه

١- القدرةُ على تحليل المقروء والمسموع ونقده وتذوقه.
٢- القدرةُ على استعمال اللغة العربية الفصيحة في الاتصال بالآخرين شفوياً وكتابيا ، مع وضوح الأفكار ودقتها وصحتها وتنظيمها.
٣- القراءةُ السليمة المعبرة.
٤- القدرةُ على فهم المعاني والأفكار من خلال القراءة الصامتة.
٥- الجرأةُ الأدبية والقدرةُ الخطابية والتمثيلية.
٦- الميلُ إلى المطالعة الحرة.
٧- القدرةُ على الإحساس بالجمال وتذوقه في النصوص.
٨- التفوقُ على الأقران في لون من ألوان النشاط اللغوي أو الأدبي أو الثقافي.

مكتشف الموهبة الثقافية

إنما أهمية البحث عن الطفل الموهوب ، مهمة مشتركة بين الآباء والمعلمين ، فالتعاون عامل أساسي ؛ ليس في اكتشاف الطفل الموهوب فحسب ، بل وفي توفير الفرص له كي ينمو روحياً وجسمياً وعقلياً. وبالدرجة التي يشتركان بها في هذه المسؤولية، يتقاسمان الفخر بهذا الطفل و بالرضا عن أعماله ، وبذلك يجمعان بين الرضا والحرص على أن يجعلا من هذا الطفل ذي المواهب النادرة شخصيةً متكاملة متفوقة.

ونحن في العادة ، نكتشفُ الموهبةَ الثقافية مصادفة، كأن نسمع طفلاً يقرأ قراءة سليمة معبرة، أو نراه في موقف خطابي معين، أو نقرأ شيئا كتبه . لكن هذا الاكتشافَ ليس مهما، لأن موهبةَ الطفل برزت من خلال سلوكه الثقافي، وأعلنت عن نفسها دون أن يكون لأحد دور في ذلك.

ومن الممكن، أن يستفيد الآباء والمعلمون من ملاحظة أي مؤشر لموهبة ثقافية عند الطفل، ثم تأتي الرعايةُ والمتابعة. ويمكنهم أيضاً أن يرتفعوا إلى مستوى مكتشفي المواهب الثقافية، إذا امتلكوا القدرات والمعارف اللازمة لمتابعة الأطفال الموهوبين ثقافياً. أما القدراتُ والمعارفُ اللازمة لمكتشف المواهب الثقافية فهي :

١- القدرةُ على الملاحظة المستمرة.
٢- القدرةُ على إثارة الطفل الموهوب.
٣- القدرةُ على توجيه الطفل الموهوب.
٤- المعرفة الثقافية واللغوية.
٥- معرفة مراحل نمو الطفل.
٦- معرفة صفات الطفل الموهوب وحاجاته.

ومن المتفق عليه، أن الطفلَ الموهوب في القصة مثلاً، لا يشترط فيه أن يكون موهوباً في الخطابة أو الشعر أو الأداء المعبر أو المقالة، ولهذا السبب يحتاج مكتشف الموهبة الثقافية إلى الملاحظة المستمرة ، ليكتشفَ ميول الطفل الموهوب. وكذلك ليست موهبة الطفل عامة شاملة، وإنما هي محدودةٌ بمن هم في سنه وعمره العقلي، أي أنه موهوب بالقياس إلى أقرانه، وليس موهوباً بالقياس إلى من هم أكبر منه أو أدنى، ويؤخذ ذلك بعين الاعتبار أثناء رعاية الطفل الموهوب ثقافياً وتوجيهه ومتابعته.

أسس الرعاية والتوجيه

إن رعايةَ الموهبة الثقافية غير مقصورة على الاهتمام بالطفل الموهوب والتعاطف معه ، فهذان الأمران مطلوبان ولكنهما غير كافيين لتنمية الموهبة الثقافية وتوجيهها. لأن الرعاية تعني العملَ العلمي الواعي مع الموهوبين، وهذا العمل يستند في العادة إلى ثلاثة أسس، هي:

١- تهيئة الظروف الموضوعية لنمو الموهبة.

٢- الإشراف والمتابعة والتوجيه.
٣- التنافس.

فالموهبة تخبو إذا لم تكن الظروف المحيطة بها قادرة على تنميتها. وأهم هذه الظروف: الحريةُ والفرديةُ والتشجيع. ذلك أن الموهبة الثقافية لا تنمو في ظروف القهر وسيطرة الكبير على الطفل الموهوب، وتوجيهه بحسب رغباته وآرائه. وتتيح علاقة الود بين الموهوب والمربي فرصةَ الاقتراب من الطفل الموهوب وتوجيهه، وتتيح له أيضا فرصةَ متابعته، ومعرفة استجابته للمواقف ؛ والمعوقات التي تحول دون دخوله حقل الإنتاج الثقافي.

ثم إن التنافس بين الموهوبين ، يحفز الموهبةَ الثقافية على التفتح، ويدفع الطفلَ إلى تجويد إنتاجه والتدقيق فيه، ومن البديهي أن يكون التنافس تربويا بعيداً عن الحسد والغيرة والمشكلات التي تنتج عنهما.

ومتى أدرك الآباء أن طفلَهم موهوب، فمن الخير أن يبادروا بالتفكير في مستقبله ، وأن يرسموا خطتهم من الآن لكي يواصلَ ابنهم تعليمه، وألاَّ ينتظروا حتى يتخرج من المدرسة الثانوية، والإعداد للمستقبل خطوة أساسية جوهرية لعدم التبذير في مواهب أبنائهم.

وتحتل الرعاية مكانةً مهمة في العمل مع الموهوبين، على أن تتكاملَ المصادر التي تقوم بها، وتوظَّفُ جهدها للإشراف والمتابعة والتوجيه، فالأسرة والمدرسة والمجتمع هي مصادر الرعاية، وتحتضن الأسـرةُ الموهبة، وتوفر لها حاجاتها الأساسية، وتدفعها إلى الإنتاج وتحوطُها بالحرية، كما أنها تشجعها وتزيلُ العقبات التي تعترضها. وتحتل المدرسة المكانة الثانية في رعاية الموهبة الثقافية، ومن واجباتها فتح سجل للتلاميذ الموهوبين، تدون فيه تطوراتهم وسلوكُهم الثقافي ومشاركاتُهم في العمل الثقافي المتميز طوال السنوات الست؛ التي قضاها الطفل الموهوب في المدرسة الابتدائية. كالكتابة في صحف الصف والمدرسة، والخطابة في المناسبات، والنشر في المجلات، والمشاركة في المسابقات داخل المدرسة وخارجها.

ولاشك في أن وسائلَ الإعلام تساهم في الرعاية من خلال احتضانها الإنتاج الثقافي للموهوبين، فمجلاتُ الأطفال مطالبة بمتابعة الموهوبين الذين يكتبون ويتصلون بها، ولا بأس في هذه الحال من تزويدهم بالكتب والمجلات، ونشر صورهم، ونقد إنتاجهم، ومتابعة سلوكهم الثقافي.

وأخيراً، نجد أن الملاحظة المباشرة للطفل في ظروفه المختلفة، تُعطي معلومات ثمينة عنه، لا تُعطيها أي طريقة أخرى أو أي مصدر آخر، وكذلك توفير الظروف الموضوعية والمربين المؤهلين والتشجيع. لأن مستوى الموهوبين ليس واحداً، وينبغي إثراء المناهج المدرسية بمواد إضافية لإشباع حاجات الأطفال الموهوبين ، والتركيز على الطفل في عملية التعليم، لأن هذا أصبح مطلباً أساسياً في المدرسة الحديثة، وييسر فرصة فريدة للتعليم ومراعاة للفروق الفردية بينهم، وينبغي أيضا استخدام الطرق الاستكشافية في التعليم لمساعدة الطفل على إشباع حاجته للكشف والتنقيب والاطلاع والتخيل، لأن هذه الطرق تساعد على رعاية الموهبة الثقافية عند الأطفال وتنميتها ، فالطفل الموهوب رجل المستقبل، وليس الحاضر سوى الإعداد لهذا المستقبل.

تولي المرأة الإفتاء

الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحداد

• كبير مفتين مدير إدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية بدبي

الإفتاء إخبار عن شرع الله تعالى الذي شرعه لعباده، في محكم كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم،من غير إلزام قضاءً، وهذه المهمة فرضها الله تعالى على العلماء المتمكنين ليبينوا للناس شرع ربهم،عند سؤالهم أو عند مقتضى الحاجة في البيان، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ وأوجب على كل من يحتاج إلى معرفة وبيان لأمر دينه ودنياه أن يسأل هؤلاء العلماء ليبصروه في شرع الله تعالى الذي أتمن عليه العدول من البشر، فقال مكلفا كل أولئك المحتاجين:﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ ومثل هذا التوجيه القرآني الرباني شامل لكل من حمل صفة العلم المسئول عنه من ذكر وأنثى، فإن العلماء يعرِّفون المفتي بأنه: (الفقيه الذي يُجيب في الحوادث والنوازل، وله ملكة الاستنباط) وهذه الملكة هي الفقه التام الذي يصل به المرء درجة الاستنباط، وهذه الملكة غير قاصرة على الرجال، بل يمكن أن تكون من النساء أيضا إذا وصلن تلك المرحلة من الفقه، فإن الشرع الشريف نزل للرجال والنساء، على حد سواء، فقد كانت النساء يقلن للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، وذلك ما بينه الله تعالى بقوله:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ولا تكون المؤمنة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر إلا إذا كانت عالمة بما تأمر وتنهى، فإن ذلك شرط أساس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فدل على أن المرأة كالرجل في ذلك، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم، ولذلك كانت النساء في الصدر الأول كالرجال في بيان الأحكام الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،من الصحابيات والتابعيات ومن يليهن إلى عصرنا هذا، وإن كنا في عصرنا الذي يسمى عصر التعلم والحضارة والثقافة نعاني من نقص كبير لمثل تلك الفاضلات من العالمات الفقيهات الربانيات، وكأننا في العصر الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا) كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، فلذلك ضاع الفقه عند كثير من الرجال وعموم النساء، مع أن الشارع طلب من النساء أن يجتهدن في طلب العلم كالرجال، لعموم الآية السابقة، ولأن للنساء خصائص قد لا يحسنها الرجال، فكان الأجدر أن يقوم بإفتائهن نساء، كما كانت أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن يفعلن ذلك،

حيث كنَّ يبلغن النساء ما تعلمنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في شؤونهن الخاصة، كما روى البخاري من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل، قال : (خذي فرصة - أي قطعة - من مسك، فتطهري بها) قالت: كيف أتطهر ؟ قال: (تطهري بها)، قالت: كيف؟، قال: (سبحان الله، تطهري) قالت عائشة: فاجتبذتها إلي، فقلت: تتبعي بها أثر الدم).

فلولا فقه عائشة رضي الله تعالى عنها لما أراده النبي صلى الله عليه وسلم لبقيت المرأة بحيرتها؛ إذ لم تستطع أن تفهم مراد رسول الله صلى الله عليه الذي أشار لها بما يجب عليها فعله من التطهر، فلم تفهم الإشارة حتى احتاجت لصريح العبارة، فتولت السيدة عائشة رضي الله تعالى بيانها على الوجه الأكمل.

وما هي المسائل التي يمكن أن تتصدى لها المرأة في الإفتاء؟

ليس هناك حجر على المرأة فيم تفتي به، ولا تحديد لنوع ما تفتي به، لما تقرر أن الفتوى إخبار عن شرع الله تعالى مما فقهته وعلمته منه، فلها أن تفتي بعلم في كل أبواب الفقه من غير استثناء، وكذا في العقائد والأخلاق وغيرها إذا تأهلت لكل ذلك، وليس ذلك كالقضاء الذي يرى بعض أهل العلم صحته منها فيما تصح لها الشهادة فيه، من أمور النساء والأموال، دون الحدود، فذلك لأن القضاء ملزم بخلاف الشهادة، ولأن القضاء يتعلق بشخص واحد دون الإفتاء، وقد كانت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وغيرها يفتين في كل أبواب الفقه، وتستدرك على الصحابة رضي الله تعالى عنهم في كل الأبواب الفقهية كما هو معلوم.

وهل هناك نماذج في التاريخ للمرأة المفتية؟

نعم هناك أعداد كبيرة غفيرة من النسوة اللاتي وصلن مرتبة الإفتاء والحديث والرواية من السلف والخلف، ولو لم يتولين منصبا يسمى منصب المفتي العام مثلا، فذلك لأن الإفتاء كان يقوم به العلماء والقضاة مباشرة من غير تولية، وإن كانت الدولة تقوم بواجبها في أرزاق هؤلاء ومنع من ليس أهلا من الإفتاء،فكانت النساء يفتين كالرجال الفقهاء سواء بسواء، ولو تصفح القارئ لأي كتاب من كتب التراجم لمختلف الفنون لوجد من ذلك شيئا كثيرا، ومن أشهرهن الحافظة كريمة المروزية الرواية الشهيرة لصحيح البخاري، والسيدة عائشة المقدسية، وست الوزراء أم عمران، وأم الخير أمة الخالق التي نزلت الروايةُ بموتها درجة؛ لكونها كانت عالية السند عن الحجازيين، وكم في طبقات المحدثين والفقهاء من أولئك النسوة، وقد جمع أخونا الفاضل الدكتور صالح معتوق محدثات القرن السابع فجاء ذلك في مجلد حافل، وجمع كثيرا منهن المؤرخ المشهور عمر رضا كحالة في خمسة مجلدات كبار،أسماه: أعلام النساء،منهن الفقهاء والأديبات وغيرهن، وللسيدة زينب بنت يوسف فواز مجلد كبير في تراجم النساء أسمته: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، وللسيد عبد الله محمد الحبشي مجلد صغير في تراجم مختصرة للعالمات من النساء اليمنيات، أسماه: معجم النساء اليمنيات، وغير ذلك كثير، في شرق الأرض وغربها، وعربها وعجمها، وكل ذلك يدل على ما كانت عليه المرأة من المكانة العلمية، ومزاحمتها لأخيها الرجل في هذا الباب وهي مزاحمة شريفة نبيلة؛ لأنها من المسابقة للخيرات، والمنافسة فيها.

كيف يمكن إعداد البعض من الطالبات للإفتاء؟

هذا هو الذي يجب فعله وإعداده، فإن ما أصاب المرأة اليوم من التأخر العلمي والفقهي على الوجه الأخص، سببه عدم منهجية التأهيلهن لهذه المهمة الكبيرة، فيتعين أن يوضع منهج حافل لتأهيل المفتين من الرجال والنساء في الكليات التخصصية في الشريعة، وقد أعددنا في دائرة الشؤون الإسلامية منهجا متكاملا لذلك، لعله يحقق بعض المراد إن لم يحققه كله، وذلك بتبني برنامج إعداد المفتي المواطن، ابتداء من المرحلة الجامعية، في الكليات الشرعية، يقوم على العناية بالطالب أو الطالبة من تلك المرحلة بتكثيف دراسته الشرعية فقها وأصولا وتفسيرا وحديثا وعلومهما وعلوم الآلة نحوا وصرفا ومنطقا وبلاغة، ومن واقع الفقه المذهبي والمقارن، بالإضافة إلى أدب المفتي والمستفتي، بحيث يتأهل الطالب ذلك نظريا ثم يكسب خبرة عملية من واقع مجالسته للمفتين في الإدارة وفي بعض الدول المعنية بالإفتاء، في الفترة الصيفية لكل سنوات دراسته، وعند التخرج كذلك يلازم أصحاب الفضيلة العلماء في إدارة الإفتاء حتى يكتسب الملكة الفقهية من واقع العمل، كما اكتسبها نظريا في مقاعد الدراسة فهذا الذي يكوِّن المرأة أو الرجل لهذه المهمة العظيمة التي يحتاجها المجتمع.

والله ولي التوفيق

هناك أعداد كبيرة غفيرة من النسوة اللاتي وصلن مرتبة الإفتاء والحديث والرواية من السلف والخلف

سعادة الأسرة في القرآن الكريم

د. سيف الجابري

• مدير إدارة البحوث بدائرة الشؤون الإسلامية بدبي
• ناشط في مجال الأسرة

إذا أردت النجاح امنح عقلك فرصة ليصدر حكمه بوضوح من خلال علمه بالحلال والحرام، لأن العقل كالمصباح والأهواء كالرياح

قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدمت لغد﴾ (سورة الحشر، الآية: ١٨). تشير دلالات الآية إلى أن النظر للغد وهو المستقبل، تكمن به خطوات السعادة والنجاح والاستقرار الأسري وغيره، فدلت الآية على أن سر النجاح في التطلع إلى المستقبل، (لأن من استقبل الأمور أبصر ومن استدبرها تحير)، إذ أن النجاح الذي تستمتع به اليوم هو نتيجة جهد الأمس المتحلي بالإيمان، لأنه سلاح الروح ضد الموبقات، وملجأ النفس عند الملمات، ووسيلة النجاح في معترك الحياة، إذن الخلاف الأكبر هو بين ما تحب أن تعمله وما يجب أن تعمله، وهنا دور الإيمان لأنه بدون إيمان يبقى كل شيء بلا معنى، لذلك يقول الإمام علي رضي الله عنه: (الإيمان والعمل أخوان توأمان ورفيقان لا يفترقان، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه) (فيض القدير للمناوي ٣/١٨٨) وذلك مصداقاً لقول الحق سبحانه: ﴿إن الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جناتُ الفردوس نزلاً﴾ (سورة الكهف، الآية: ١٠٧). إذن سر النجاح مع الإيمان.

ومن هنا وجد الناجحون في الإيمان ملاذاً لهم في مواجهة الصعاب التي ربما تشل حركة الأسرة وتقوض بناءها، فالسعادة كامنة في هذا الإيمان الذي تتحلى به الأسرة في كل أفرادها ومسؤولياتها. قيل لمعاوية: من أصبر الناس؟، قال: من كان رأيه رادا لهواه. ولا يرد الهوى إلا الإيمان لأنه الحارس الأمين.

وعليه فليس المطلوب أن نجعل الإيمان مطية النجاح ووسيلة للحصول على الدنيا، ولكن المطلوب أن نجعل النجاح في خدمة الإيمان ومطية الآخرة كما قال تعالى: ﴿وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس من الدنيا﴾ (سورة القصص، الآية: ٧٧).

فقد دلت الآية على أهمية السعي للآخرة مع عدم ترك الدنيا لأن من أوجب الواجبات أن نجعل العقل تابعاً للشريعة، ولا نجعل الشريعة تابعة له فيهلك صاحبه.

فإذا أردت النجاح امنح عقلك فرصة ليصدر حكمه بوضوح من خلال علمه بالحلال والحرام، لأن العقل كالمصباح والأهواء كالرياح، ولكي لا ينطفئ المصباح فلابد من أن تضع حاجزاً بينه وبين الرياح وهذا الحاجز هو الإيمان، والعقل نعمة دالة عليه، به النجاح محتوم ومن دونه الفشل

مؤكد. لذلك قيل: العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء.

ويقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك: اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين، لأن الطموح وقود النجاح الذي أساسه الإيمان والعمل، كما قال الشاع[المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي (٢/ ١٢٨، ٥٤٨).

تـوكـل عـلـى الـرحـمـن في الأمـر كله
ولا تـرغـبن في العجز يـوماً عـن الطلب
ألـم تـر أن اللـه قـال لمريم
وهـزي إليك الجذع تساقط الرطب
ولـو شـاء أن تجنيه مـن غير هزها
جنـتـه ولـكـن كـل رزق لـه سبب

فإذا توفرت عناصر الإيمان، بالمزج بين الدين والدنيا، وتفعيل العقل في مواجهة الملذات والهوى، وغلبت دواعي المسؤولية أمام الله عز وجل من كل أطراف الأسرة: كانت - لا محالة - سعيدة وموفقة، لأنها تربعت بذلك في ظلال الإيمان.

إن من أهم مميزات الأسرة السعيدة وجود الأب الناجح السعيد الذي يمتلك قدرة التعامل مع أهله والآخرين ولكي نصل إلى ذلك علينا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال! ما أثر النجاح في تحقيق السعادة؟. والجواب: أن النجاح طريق يقود إلى السعادة، ولا سعادة مع الفشل.

نعرف ذلك بعد المقارنة بين علم النفس الحديث وعلم النفس الإسلامي والذي يدور حول أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، لأن الأمن النفسي هو الشعور بالهدوء والسكينة والسلام، وأن يحيطك الاطمئنان في كل لحظة

وفي كل جانب من جوانب حياتك، وإنما تتمكن من ذلك بمراقبة نفسك ومحاسبتها، وتمكين الإيمان من قلبك؛ فبذكر الله مراقبة، وتعلماً، وتخلقاً وسلوكاً يطمئن قلبك، وتسكن جوارحك، وتنال الأمن النفسي.

وإليكم هذه الوقفات التي توضح نظرة الإسلام لما تستقر به النفوس، مع التنويه بنظرة المجتمع الحديث وهو يبتعد عن الإيمان لنصل بعد ذلك إلى ضوابط النجاح والسعادة للأسرة.

١- الإحساس بالذنب والندم والتوبة:

ظاهرة صحية في منظور الإسلام، باعتبار أن الإنسان مكلف في هذه الدنيا بالطاعة، والعبد بطبيعته معرض للوقوع في الخطأ، فتكمن الصحة في تفعيل هذه الأمور، ولا سيما إذا أعقبت وقوع التقصير في الفرائض، والسنن وما يتطلبه وجود الإنسان، وديمومة بقائه على الأرض ليقيم العدالة الإلهية، ويعمل وفق نظام قرآني رتيب ملؤه إحقاق الحق، ونشر العدالة، وحب الخير للآخرين.

أما من وجهة نظر بعض المجتمعات والمدارس المادية الحديثة البعيدة عن الدين؛ فقد يعدها البعض مرضاً نفسياً، أو تعقيداً ونقصاً في تركيبة الإنسان النفسية!!. وهذا الفرق بين النظرتين يبقى قائماً بناءً على اعتقاد كل طرف وإيمانه برقابة الله تعالى وبموقف الحساب في اليوم الآخر أو عدمه.

٢- تهذيب الشهوات وتنظيمها:

شاهد حي على سلامة نظام الحياة في الإسلام، وعلى تمكن النفس السليمة واقتدارها وقدرتها على السمو وفق تعاليم الإسلام الحنيف، والتي نظمت آلية التعامل مع الشهوات على اختلاف أنواعها، وتعدد أسبابها، وآثارها؛ فهو دين قيم حافظ على الإنسان ونوعه، والمخلوقات وأصنافها، وبه سمت النفس البشرية، وتسامت بمثله وأخلاقه، وقيمه وعلاجاته نحو الكمال وفضائل الخلال.

وقد يرى البعض بناءً على فقده لضابط الدين، ورؤيته المجتزأة للأمور، أو من خلال بحثه عن المردود

من أهم مميزات الأسرة السعيدة وجود الأب الناجح السعيد الذي يمتلك قدرة التعامل مع أهله والآخرين

العاجل للأشياء؛ أن التهذيب والمحافظة على تنظيم الشهوات هو تعقيد. وكبت وقمع له عواقبه السيئة على النفس!!.

والأصل في رد هذا كثرة الوقائع التي ذكرها القرآن الكريم في أخبار السابقين على مستوى الأفراد أو الأمم أو المجتمعات؛ الذين أطلقوا لشهواتهم العنان فأوصلتهم إلى تبديل نعمة الله تعالى، وكفران شكرها، بل واستثمارها في غير محلها، وتوظيفها في غير ما خلقت له، فخسروا أنفسهم في الدنيا بإهلاكها، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وكذلك من الشواهد القائمة في التأكيد على ضرورة تنظيم الشهوات وتهذيبها؛ ما تشهده المجتمعات المعاصرة، الغربية أو الشرقية وعلى اختلاف المستويات وتنوع المسميات من إطلاق للشهوات يأخذها بعيداً عن الدين، دون تنظيم أو ضابط يحد من انحدارها نو التفكك والضياع.

٣- الصبر على المكارم:

في المنظور الإسلامي سمة تؤهل صاحبها إلى عز الدنيا ونعيم الآخرة، تدل على علم صاحبها بواقع الدنيا، وكونها دار اختبار وتكليف وعمل، وتبين مدى جهاده للنفس، ومعالجته لسفسافها، وهذه السمة في ذاتها ظاهرة صحية تدل على إيمان صاحبها بمبدأ يعيش من أجله، ومهمة يصبر على ظروف نجاحها.

وليم جيمس (عالم النفس الأمريكي): إن أعظم علاج للقلق هو الإيمان

وقد يتهم المجتمع البعيد عن رسالات الله تعالى صاحب هذه الميزة بالبرود في بعض الأحيان، والضعف والعجز في أحايين كثيرة!!، وكما قلنا سابقاً؛ الأصل في الحكم على هذه الأمور هو التسليم للدين، وحضور الإيمان، وإشراق نوره في القلب، والعقلانية المنضبطة بضوابط الشرع أو عدمها.

ما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأقوال علماء النفس في العصر الحديث.

القرآن الكريم والسنة الشريفة:

قال الله تعالى: ﴿الذين امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم متهدون﴾ (سورة الأنعام، الآية: ٨٢).

وقال الله تعالى: ﴿الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (سورة الرعد، الآية: ٢٨).

قال الله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينه حياة طيبة ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (سورة النحل، الآية: ٩٧).

وقال تعالى أيضاً: ﴿ولو أن أهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٩٦). كان رسول صلى الله عليه وسلم يقول لبلال، حينما تحين أوقات الصلاة: «أرحنا بها يا بلال» (أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٢٩٦).

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوضوء إذا غضب الإنسان (أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٢٤٩، وأحمد في مسنده ٤/ ٢٢٦، وابن المنذر في الأوسط ١/ ٢٤١) وذلك لما للوضوء من تأثير فسيولوجي، إذ يساعد على استرخاء العضلات وتخفيف حدة التوتر البدني النفسي وأوصى بالصلاة من شكا إليه وجع البطن.

علماء النفس في العصر الحديث:

وليم جيمس (عالم النفس الأمريكي): إن أعظم علاج للقلق هو الايمان. بريل (المحلل النفسي): المرء المتدين لا يعاني قط مرضاً نفسياً.

ذكر نهري لنك (العالم الإمريكي: في كتابه (العودة إلى الإيمان): الذين يترددون على دور العبادة يتمتعون بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين لهم ولا يقومون بالعبادة.
يقول الطبيب توماس هايلسون: إن الصلاة والتأمل هي أهم أداة عرفت حتى الآن لبث الطمأنينة في النفوس وبث الهدوء في الأعصاب.

وقد لا حظ الطبيب الفرنسي أليكس كاريل: أن الصلاة تحدث نشاطا روحيا يمكن أن يؤدي إلى الشفاء السريع لبعض المرضى في أماكن الحج والعبادة وهذا ما ذكره في كتابه (الإنسان ذلك المجهول).

وبعد النظر في المقارنة السابقة يظهر لنا بجلاء ووضوح أن كل معاني النجاح والسعادة في طاعة الله سبحانه وتعالى.

لذلك تعالوا معي ننظر كيف نصل إلى السعادة من خلال القرآن الكريم والسنة المشرفة وأقوال أهل العلم.

نافـــذة على العـــالم الاقتصـــادي التحـــــــدي

إعداد: الأستاذ زيد محمد الرماني

• أستاذ الاقتصاد بجامعة الرياض.
• محلل إقتصادي سعودي.

يعيش في الأقطار النامية ثلاثة مليارات ونصف المليار من الناس أي ما يعادل ثلاثة أرباع البشرية، ويحتمل أن ترتفع هذه النسبة إلى أربعة أخماس بحلول عام ٢٠٠٠م.

ويشار إلى الأقطار النامية بعبارة الجنوب الاقتصادي أو بكلمة الجنوب فقط. وهي موجودة على أطراف الأقطار المتطورة في الشمال، وقد تجاوزت إلى حد كبير منافع الرخاء والتقدم. وفي حين أن أغلبية الناس في الشمال يتمتعون ببحبوحة الرفاهية فإن أغلبيتهم في الجنوب من الفقراء، وإذ نجد اقتصاديات الشمال قوية ومرنة، نرى اقتصاديات الجنوب ضعيفة وعاجزة، وفي حين أن أقطار الشمال تسيطر، بصورة عامة على زمام مقدراتها، فإن أقطار الجنوب معرضة لعوامل خارجية تقوض سيادتها.

وتتباين أقطار الجنوب تبايناً كبيراً في الحجم وفي المصادر الطبيعية، وفي هيكل اقتصادياتها ومستوى تطورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. وهي تختلف كذلك في ثقافاتها وأنظمتها السياسية ومذاهبها العقائدية. وقد برز تنوعها الاقتصادي والثقافي في السنين الأخيرة بشكل جعل جنوب اليوم أقل تجانساً مما كان عليه جنوب الأمس. وقد نظرت لجنة الجنوب في تجربة التنمية الخاصة بالجنوب، وفي مجالاتها في المستقبل، وذلك في مرحلة السنين الأخيرة من عقد من الزمن تميز بأزمة طاحنة بالنسبة لأغلبية الأقطار النامية.

وقد وصف عقد الثمانينات بأنه عقد ضائع بالنسبة للتنمية. وان عدداً كبيراً من الأقطار وصل به الحال إلى شفا السقوط. وكان حرمان الشعوب فيها حاداً وطويل الأمد. كما تعثرت الأمم في سعيها للتخلص من المصاعب التي لا مثيل لها. وقد أدت الحيرة إلى اليأس عندما تردت الثقة في تلك الأقطار بقدرتها على استرداد قوتها الدافعة للنمو والتنمية.

ويبحث تقرير لجنة الجنوب (التحدي أمام الجنوب) سجل تنمية الجنوب، فيحدد الانجازات ويحلل نقاط الضعف ويقترح الإصلاح ويطرح برنامجاً مقنعاً لاستراتيجيات تنموية معتمدة على الذات نابعة من الناس وموجهة إليهم.

لقد كان للأزمة في الجنوب أسباب داخلية وخارجية معاً، ولكن الانتكاسات في الاقتصاد العالمي أثرت في الأزمة تأثيراً جوهرياً. بيد أن الأسرة الدولية أخفقت في مساعدة الجنوب، فلم تتخذ شيئاً من الاجراءات التي كان من شأنها أن تعجل في إنهاء المحنة التي أحدقت بنسبة كبيرة من أمم العالم وشعوبه أمداً طويلاً.
إن التحدي أمام أمم الجنوب يتمثل بتعبئة مواردها وتهيئتها للاستخدام على نحو أكثر فعالية على الصعيدين الوطني والجماعي، وذلك لتنشيط التنمية فيها، والحصول على القوة الناشئة عن مشاريع مشتركة، واستغلال الفرص الموجودة في العالم، وكذلك لجعل المنظمة الدولية أكثر استجابة لصالح الجنوب.
وخلاصة القول فإنه لامناص للسياسات من أن تتبدل وللمؤسسات أن تتجذر ولوسائل عمل جديدة أن تستحدث.

إن هذه مهمات ضخمة، ولكن على الجنوب أن يواجهها وإلا واجه مزيداً من التهميش والتبعية والديون والفاقة.

فتـــاوى شـرعيـــة

تجيب عليها إدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

أذية الأم من أكبر الكبائر

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه :
ماحكم من يسلط أولاده الشباب على أمهم ، فهل لهم رقابة على أمهم ؟ وجزاكم الله خيراً .

الجواب وبالله التوفيق :
هذا الفعل من الإعانة على الإثم والعدوان، لأنه يعين أبناءه على عقوق أمهم ، والعقوق من كبائر الذنوب كما قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً . قلنا : بلى يا رسول الله ? قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ...) الحديث .
والعقوق هو كل أذى يتأذى منه الوالدان أو أحدهما وهو ضد البر والإحسان اللذين أمر الله تعالى بهما ، وأمر بهما الرسول صلى الله عليه وسلم في أدلة لا تحصى كثرة .
والواجب على هؤلاء الأبناء أن لا يسمعوا كلام أبيهم فيما يُلحق أذىً بأمهم، لأن أمرهم بذلك معصية ، ولأن أمهم آكد بالحق والرعاية والإحسان من الأب، فهي التي حملت وهناً على وهن ، والتي حملت كرهاً ووضعت كرها، والتي جعل لها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة حقوق مقابل حق واحد للأب كما هو معلوم، ولذلك نهى عن عقوقها بالخصوص كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات ووأد البنات ....) الحديث .
وإنما خصهن بالذكر لأن عقوقهن أشد قبحاً من عقوق الأب ، لضعفهن وعدم قدرتهن على أخذ حقهن لأنفسهن بأيديهن كما قد يفعله الأب .
فعلى الأبناء أن يتقوا الله تعالى في أمهاتهم ، وأن يخشوا مصيرهم إذا لقوا ربهم، بل إن الله تعالى يعجل عقوبة العاق في الدنيا قبل الأخرة كما قال عليه الصلاة والسلام : (كل الذنوب يؤخر الله تعالى ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين ، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات) . كما أخرجه الطبراني والحاكم من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وعادة الله في ذلك معلومة لاتخفى على العقلاء . والله تعالى أعلم .

حكم جلوس الحائض والجنب في المسجد

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه :
هل يجوز جلوس الحائض في المسجد للتعلم أو التعليم أو لغيره ؟

الجواب وبالله التوفيق :
الذي ذهب إليه الأئمة الأربعة أن المكث في المسجد حرام على الجنب ومثله الحائض وكذا قرآة القرآن ، ومس المصحف ... واختلفوا في العبور فيه ، كأن يدخل من باب ويخرج من آخر . واستندوا في ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا جُنباً إلا عابري سبيل ﴾ .
والمراد بالصلاة موضعها وهو المسجد الذي تكون فيه الصلاة وكذا فعلها ، كما ذهب إليه أهل التأويل ، فذكر الصلاة مجاز مرسل ، من ذكر الحال وإرادة المحل، فنهت الأية عن إتيان المساجد حالة السكر أو الجنابة ، لما في ذلك من امتهان لهذه الشعائر التي أذن الله

تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، والجنب ليس أهلاً للعبادة من صلاة أو قراءة قرآن ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عند أبي داود : (وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب) .

والحديث وإن كان ضعيفاً لكنه ليس شديد الضعف فيحتج به، إذا لم يكن في الباب غيره كما هو نهج عامة الفقهاء ، لاسيما وأنه يقوّي دلالة الآية ، وقد ذهب إلى هذا المعنى جمهور أهل العلم من المذاهب الأربعة . وإنما اختلفوا في العبور، فأجازه الشافعية والمالكية لظاهر الآية ، وأجازه الحنابلة للحاجة فقط ، ومنعه أبو حنيفة وأصحابه لظاهر الحديث السابق ، وحديث الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : (يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك) .

والحائض في كل ذلك كالجنب لأنها صاحبة حدث أكبر ، فتمتنع مما يمتنع منه الجنب من قراءة ومس مصحف، ودخول مسجد، زيادة على امتناع استمتاع زوجها بها بين السُّرة والركبة .

غير أن السادة المالكية لهم رأي في قراءة القرآن إذا كانت حافظة، فرأوا أنها إذا امتنعت من القراءة فترة حيضها أدَّى ذلك إلى نسيانها القرآن وذلك غير جائز، فأبيح لها للحاجة ، وليس كذلك الجنب إذ بإمكانه أن يرفع حدثه بغسل أو تيمم ، بخلاف الحائض ، ولكنهم مع ذلك لم يجوزوا لها المكث في المسجد .

والذي أراه في هذه المسألة أن مذهب السادة المالكية هو المذهب الوسط الذي تشتد الحاجة إليه ولاسيما للطالبات أو المعلمات ، خصوصاً في أيام الاختبارات .

أما المكث في المسجد فليس ضرورياً ، ولو كان بحجة التحفيظ ، إذ يمكن أن يكون التحفيظ في غير المسجد ، وإن كان في المسجد ، ينبغي أن تعذر صاحبة الحيض من الحضور أثناء دورتها ، وتتعاهد حفظها في بيتها إن ترخصت بمذهب السادة المالكية ، وإذا ما كان الوقت وقت اختبار دخلت للضرورة كالعابرة وتسمِّع وهي واقفة ثم تنصرف .

وذلك عملاً بمثل هذه النصوص الشرعية ، وحفاظاً على قدسية مساجد الله تعالى. والله تعالى أعلم .

حكم ما فات من صلوات

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه :

امرأة فاتتها الصلاة لعدة سنوات ... كيف لها تأدية هذه الصلوات ؟

الجواب وبالله التوفيق :

يجب عليها أن تتوب توبة نصوحاً عن هذا الترك والتأخير للصلاة ، كما يجب عليها أن تقضي صلوات هذه المدة ، وذلك بأن تتفرغ لها حتى تفرغ من قضائها، فإن لم يمكنها ذلك فلا حرج أن تصلي مع كل فريضة صلاةً فائتة . أو أن تصلي كيفما تستطيع من عدد كل يوم حسب فراغها حتى تقضي فوائتها كلها ؛ لأن الصلاة حق الله تعالى ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) كما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، هذا ماذهب إليه جمهور أهل العلم ، وتجب مع ذلك التوبة النصوح من هذا الذنب ؛ لأن ترك الفرائض من كبائر الذنوب كما قال الله : ﴿ فخلف من بعدهم خلْف أضاعوا الصلاة واتَّبعوا الشهوات فسوف يلقون غَياً ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيئاً ﴾ .

فالتوبة واجبة للخروج من الإثم ، ولا تتحقق إلا بقضاء الصلاة والندم على ما فات والعزم على عدم العود إلى مثل ذلك ، وعليها مع ذلك أن تكثر من التطوع فلعل ذلك يعوض ما فاتها من الفضل كما ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال : (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة) ..الحديث كما أخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . والله تعالى أعلم .

زكاة الأسهم والشركات التجارية

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه :

نرجو من فضيلتكم التكرم بالإجابة على الأسئلة التالية في موضوع الزكاة حيث إنني رجل مسلم وعندي الأملاك التالية :

١- أسهم في عدة شركات مساهمة .

٢- عدد من البنايات التجارية ، بعضها مدين للبنك والبعض الآخر غير مدين .

٣- شركات تجارية تعمل في أنشطة مختلفة كالمقاولات ، والسفريات ، والحفر وغيرها .
وحيث إنني قد اقترضت من البنوك لشراء أراضٍ ثم أبنيها بنايات تجارية، لذلك فإن بعضاً من هذه البنايات لا يزال مرهوناً للبنوك حتى سداد القرض الذي اشتريت به الأرض وبُنيت به البنايات . علماً بأن جميع الدخول السنوية من الأسهم والبنايات المدينة ، وغير المدينة وكذلك دخول الشركات جميعها يذهب إلى البنك مباشرة لسداد القروض . وهكذا الحال منذ عدة سنوات وسيستمر كذلك في المستقبل حيث التوسع مستمر . فالسؤال المطلوب الإجابة عليه هو : هل تجب الزكاة على دخل هذه الأملاك .

الجواب وبالله التوفيق :

أما الأسهم فإنها أنواع ، ولكل نوع حكم .. وهي على النحو التالي :

أولاً : الأسهم التجارية ، وهي قسمان :

١- أسهمٌ تمثل عروضاً تجارية قائمة،كأسهم الجمعيات والشركات التجارية ذات العرض والطلب بيعاً وشراء .
فهذه الأسهم هي عبارة عن عروض تجارية كما لو كان شريكاً لأحد في متجر ، فكذلك هنا جميع المساهمين شركاء في هذه التجارة ، فعليهم زكاة عروض التجارة كل بنسبة ما يملك .
وكيفيتها أن تقدر قيمة السهم الواقعية الفعلية مضافاً إليها الأرباح إن أمكن قبضها وتزكى القيمة مع الربح بواقع ٢،٥٪ إن زكيت بالحول القمري ، وإن زكيت بالحول الشمسي كانت الزكاة ٢،٥٧٧٪ ، وإن تعذر قبضها والعلم بها فتزكى القيمة الفعلية الواقعية فقط عند حولان الحول وتزكى الأرباح عند استلامها باعتبار الحول القمري .

٢- أسهم هي ذاتها عروض تجارية ، بأن اشترى الأسهم بنية الاتجار بها، يتربص بها الأسواق فيبيع عند الغلاء ، ويمسك عند الرخص ، كما يجري في سوق الأسهم والبورصات ونحوها . وكأسهم البنوك والمصارف الإسلامية . فهذا النوع يزكى زكاة التجارة أيضاً ، فتقوم هذه الأسهم آخر الحول بالقيمة الواقعية والفعلية للأسهم ، كما يُقوِّم بضاعته التي يقلبها بيعاً وشراء ، وما بلغ أخرج منه القدر الواجب ، كما تقرر آنفاً .

وأما الأسهم الاستثمارية ، التي لا تقلب بالبيع والشراء ، وإنما اشتريت بقصد الاقتناء والادخار ، والاستفادة من ريعها ودخلها ، وهي كذلك لا تمثل عروضاً تجارية ، وذلك كأسهم الشركات الخدمية كالطيران والاتصالات والكهرباء ونحوها.
فهذه الأسهم تعامل معاملة سائر المقتنيات التي لم ترصد للبيع ، وحكمها أنه لا تجب الزكاة على عينها ، بل على ريعها،فيضم ريعها إلى بقية الأموال الأخرى،وما بلغ أديت زكاته كما تقرر سابقاً .
وأما البنايات التجارية ، وهي التي اشتريت أو بنيت بقصد الاتجار بيعاً وشراء، فتزكى زكاة عروض التجارة ، تقوَّم آخر الحول ، بالسعر الفعلي زماناً ومكاناً ، وما بلغ أخرج منه ربع العشر كما هو الحال في سائر عروض التجارة، وهذا منها ، وسواء كانت هذه البنايات مدينة أم لا ، لأن للدين وفاءً من الممتلكات الأخرى من عقار وغيره .
وأما الشركات التجارية الأخرى ، التي تعمل في الأنشطة المختلفة من مقاولات وسفريات وحفريات وغيرها . .مما لا تكون أصولها عروضاً تجارية بل خدمية استهلاكية،وإن كان بقصد الاستثمار والاستفادة من الدخل .
فهذا النوع من الشركات لا تجب الزكاة في أعيانها من أصول وأجهزة ومعدات، وإنما تجب الزكاة في ريعها إذا حال عليها الحول .
وبناء عليه تنظر إلى إيرادات هذه الشركات فما بقي من هذا الإيراد عند حول الزكاة وجبت زكاته كسائر الأموال النقدية . وما تصرفت به قبل الحول من قضاء الديون ، أو المصروفات الإدارية ومرتبات وأجور ونحوها ، لا يدخل في وعاء الزكاة ، بل الذي يزكى هو الباقي فقط ، وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول) . كما أخرجه الدارقطني وغيره . فهذا حاصل الإجابة عن هذا السؤال . والله تعالى أعلم .

حكم شراء الذهب نقداً بواسطة الإنترنت من غير تقابض

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه :
هل يجوز شراء المجوهرات الذهبية عن طريق طلبها ودفع قيمتها بواسطة الإنترنت ثم استلامها عن طريق البريد ؟ و جزاكم الله خيراً.

الجواب وبالله التوفيق :

لا يجوز بيع الذهب وشراؤه بالصورة المذكورة في السؤال ، لأن الذهب جنس ربوي ، فإذا بيع بربوي كالدولار أو الدرهم أو نحوهما من النقود ، وجب فيه الحلول و التقابض لقوله عليه الصلاة والسلام : (الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة، والبر بالبر

، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد) كما أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه . وما يجري في صورة السؤال لا يحصل معه التقابض، وبذلك يكون البيع من بيوع الربا المحرمة والباطلة شرعاً .

ويمكن أن يستغنى عن هذه المعاملة بمعاملة أخرى صحيحة ، وهي أن يكون لبائع الذهب وكيل معتمد في محل بلد المشتري ، فيطلب الوكيل إرسال الذهب إليه بناءً على وعد تلقاه بالشراء ، ثم يقوم الوكيل بعقد الصفقة مع المشتري يداً بيد ، أو يكون للمشتري وكيل في بلد البيع ، فيبعث إليه بماله ليشتري له الذهب المطلوب يداً بيد، ثم يبعث به إليه .

وبذلك يحصل المقصود ويخرج الجميع من بيع الربا الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم آكله وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : (هم سواء) كما أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه .

والذي آذن الله متعاطيه بالحرب حيث قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ . والله تعالى أعلم

حكم المسابقات التلفزيونية

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه ؟

المسابقات التي انتشرت في الآونة الأخيرة ألهبت قلوب الناس بالأحلام للفوز بالملايين بأساليب غير شرعية وعن طريق الاستطلاع الذي أجريناه مع الجماهير تبين أن الكثير منهم يجهل الحكم الشرعي لهذه المسابقات .

لذا أتمنى من حضرتكم إفادتي في هذا الموضوع بالفتوى الشرعية وتوجيه النصيحة للمسئولين القائمين على هذا الأمر ولكل من يتصل بهذه المسابقات، وكذلك لمن فاز في هذه المسابقات . وجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

الجواب وبالله التوفيق :

حيث إن هذه المسابقات تقوم على مبدأ المقامرة - وهي أن يتصل المشترك بمال يدفعه ضمن فاتورة الهاتف، وبسعر يزيد عن سعر الاتصال العادي، وقد يستمر في الاشتراك فتتضاعف عليه الغرامة بحيث تصل إلى مئات الدراهم بل الألوف أحياناً، وذلك بهدف ربح المليون أو أقل منه. ثم يحدث أن لا يجد ذلك إلا الواحد من عدد من الملايين المشتركين، ويخسر من عداه .

وهذه هي صورة القمار المحرمة لأنها مراهنة على غرر محض، أو هو التردد بين الغنم والغرم . وهذا ما يحصل في هذه المسابقات.

وإذا كان هذا هو حالها فإنها حرام بإجماع المسلمين لقول الله تعالى : ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾.

والميسر هو القمار، وإنما حرم لأجل ما فيه من أكل أموال الناس بالباطل المنهي عنه بمحكم الكتاب .

والصور التي تجري في هذه المسابقات هي أخطر أنواع القمار حيث يدخل فيه من يَعرف ومن لا يعرف، ويدخل فيه الطفل والمرأة من غير إذن ولي الأمر الذي سيضطر إلى دفع فاتورة الاشتراك وإلا قُطعت عنه حرارة الهاتف، مع أنه قد يكون غير راض بذلك، فيدفعها قهراً وكرهاً، فهو ابتزاز لأموال الناس بغير حق، واستدراج لضعفاء الناس إلى ذلك السراب الخادع، وثراء تكسبه الشركات على حساب الضعفاء ؛ فهو إذاً من أخطر أنواع الابتزاز وقد قال الله تعالى : ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ . والله تعالى أعلم

مستحق نهاية الخدمة لازم شرطاً أو عرفاً

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه :

كنا نعمل في مؤسسة خيرية كبرى من عام ١٩٩٣ إلى عام ١٩٩٦م حيث قررت المؤسسة تأسيس مؤسسة تجارية تابعة لها مستقلة الميزانية يعود ريعها على العمل الخيري، وفي عام ١٩٩٨م قررت المؤسسة الخيرية إغلاق المؤسسة التجارية وإنهاء خدمات العاملين فيها ومنهم نحن بدعوى الخسائر المالية الواقعة على المؤسسة التجارية، والمؤسسة الخيرية لم تعطنا مستحقات نهاية الخدمة لغاية الآن .

فهل يجوز لهم شرعاً أن يحرموننا من مستحقات نهاية الخدمة بدعوى الخسائر؟ وهل يجوز لهم تأخير صرف مستحقات نهاية الخدمة لنا لمدة تزيد عن سنتين ؟

الرجاء إفادتنا ، وجزاكم الله خيراً ونفع الله بكم وبعلمكم .

الجواب وبالله التوفيق :

مستحقات نهاية الخدمة أصبح عرفاً سائداً في كل البلاد الإسلامية وغيرها، يستوي في معرفته الأجير والمستأجر ، وغدا كل منهما يحسب لهذا الحق حسابه، فالأجير يعلم أن له حقاً سيتقاضاه عند نهاية خدمته بحسب العرف السائد من أجرة شهرٍ أو نحوه ، على كل سنة عمل، من آخر أساس مربوط أجرته . والمستأجر يعلم أنه سيدفع هذا الحق .

وأغلب العقود التي يتم بها التعاقد على العمل تنص على هذا الحق طبقاً لقانون وزارة العمل ، أو الخدمة المدنية ، ومن لم ينص عليه فإنه معلوم لديه ، وما كان معروفاً عرفاً فهو كالمشروط شرطاً .

وعليه فإن من حق العاملين في هذه المؤسسة أن يتقاضوا هذا الحق، وليس لأحد حق في بخسهم إياه، وكون المؤسسة خسرت، لا يعني ذلك أن تلغى حقوق الآخرين ، بل عليها أن تؤدي الحقوق المتعلقة بالمؤسسة من أجرة العمال وأجرة المحلات ونحوها مما تبقى للمؤسسة من رأس المال ، أو بيع أصولها الثابتة حتى تؤدَّى الحقوق التي عليها ، وإلا كان القائمون عليها مسئولين عن ذلك شرعاً وقانوناً . والله تعالى أعلم

حكم اليمين الكاذبة وشهادة الزور

وردنا سؤال تقول فيه صاحبته :

ما هو حكم الشرع في حلف اليمين الكاذب حيث حلف اليمين من قبل أحد الشاكين أمام النيابة العامة أنه شاهدني وأنا أسلم الشيك إلى المستفيد علماً أنني فقدت هذا الشيك وأخبرت الشرطة بذلك وأن هذا الشخص الذي حلف اليمين هو أحد أقربائي ويتمنى لي أي أذى علماً أنه يشرب الخمر وهو أعزب ولدي الشهود على ذلك .

أرجو من حضرتكم أن تردوا علي بهذا ، وهل أستطيع حلف اليمين ولدي الشهود بذلك ؟

الجواب وبالله التوفيق :

إن هذا الحلف يشتمل على كبيرتين : أولاهما اليمين الغموس، وهي اليمين الكاذبة ، التي يقتطع بها مال امرئ مسلم بيمين كاذبة فاجرة . وقد روى البخاري أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، ما الكبائر ؟ قال : (الإشراك بالله قال : ثم ماذا ؟ قال : اليمين الغموس . قلت : ما اليمين الغموس ؟ قال : يقتطع مال امرئ مسلم) . يعني بيمين هو فيها كاذب .

وقد نهى الشارع عن اليمين الغموس وجعلها من الكبائر التي تستوجب غضب الله عز وجل ، وتدخل صاحبها نار جهنم إذا لم يتب منها ويكفر عنها ، كما ذهب إلى ذلك الشافعية ، خلافاً للسادة الحنفية والمالكية والحنابلة الذين يرون أنه لا كفارة لها ؛ لأنها أعظم من أن تكفر كما في بدائع الصنائع ٣/ ٢٩ ومواهب الجليل ٣/ ٢٦٦ والمغني ١١/ ١٧٧ . وقد أخرج الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان) ، ثم قرأ : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ .

وأما الكبيرة الثانية : فهي كبيرة شهادة الزور ، حيث حلف أنه شهد برؤيته لتسليم الشيك للمستفيد ، وهذا لم يحدث . وهذه الشهادة من أكبر الكبائر . ففي الصحيحين عن أبي بكر رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً) : الإشراك بالله وعقوق الوالدين . ألا وشهادة الزور وقول الزور . وكان متكئاً فجلس ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت) .

وإذا كنتِ صادقةً في دعواكِ أنك لست مدينة فيما ادُّعِي به عليك ، ثم طُلب منك أن تدفعي عن نفسك بيمين فلك ذلك ، ولا حرج عليك فيه ، إذا توخيت الصدق والعدل . والله تعالى أعلم .

مسألة في الطلاق

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه :

إنني كنت في حالة من الغضب والزعل بيني وبين زوجتي وبعدها قمت بالاتصال على أحد أقاربي وأقاربها وأبلغته بالتالي : إن ابنة عمك طالق ، ولم أتلفظ بأي كلمة غيرها .

ولقد حضرت إلى فضيلتكم لأنني أريد أن أرجع زوجتي لعصمتي ، وهذه كانت أول مرة أتلفظ بها بالطلاق . وهذا ما بدر مني والله على ما أقول شهيد .

الجواب وبالله التوفيق :

لك أن تراجع زوجتك مادامت العدة باقية، فإن هذا يعد طلاقاً رجعياً ، يكون فيه الزوج أحق برجعة زوجته وإن لم ترض الزوجة أو أهلها ، لأن الرجعة استدامة نكاح حيث إنها في حكم الزوجة في أكثر الأحكام مادامت في العدة ، فأرجعها بقولك : أرجعتُ زوجتي فلانة إلى عصمتي ، وأشهد على ذلك شاهدين ندباً ، وأبلغ الزوجة بذلك حتى لا تظن أنك لم تراجع ، والأفضل أن تكون الرجعة بوثيقة رسمية لتحفظ بها الحقوق . والله تعالى أعلم .

حكم الخلع

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه :

إن امرأة خالعت زوجها وردت إليه المهر الذي دفعه بالإضافة إلى بعض أغراض البيت التي اشتراها لها والدها عند زفافها، وذلك عن طريق القضاء والذي حدث أن أرسلت المرأة رسالتين، رسالة إلى حضرة القاضي وأخرى إلى زوجها في نفس الوقت تطلب فيها المخالعة الشرعية .

وجدير بالذكر أن حضرة القاضي بعد أن استلم الرسالة من المرأة أرسل رسالة إلى الزوج أخبره فيها أن زوجته تطلب المخالعة واستدعاه للحضور من أجل ذلك . وحضر الزوج في الجلسة وتم إبلاغه بالطلب مع الاستعداد لرد مهره إليه . فوافق على الخلع ، ولكنه طلب زيادة في المال رغم أنه أخذ بعض أغراض المنزل التي اشتراها والدها لها ؟

وعلى إثر هذا هناك عدة أسئلة واستفسارات تحتاج إلى إجابة من فضيلتكم لتطمئن القلوب خصوصاً وأنه عندنا في الهند ، المحاكم الشرعية هي جمعيات إسلامية تقوم بهذا الدور بدلاً عنها ، علماً بأن الحكومة الهندية هي التي أوكلت لهذه الجمعيات الفصل في هذه القضايا بين المسلمين .

الأسئلة هي :

١- هل بإرسال الزوجة رسالة مباشرة إلى زوجها تطلب فيها المخالعة تعتبر خالعت نفسها مباشرة؟ علماً بأن حضرة القاضي قد وصلته رسالة في نفس الوقت من الزوجة ؟

٢- هل يجب على المرأة أن تستأذن زوجها قبل المخالعة ؟

٣- هل يجوز للزوج أن يطلب غرامة من زوجته المخالعة مع أنها ردت إليه كامل مهره بالإضافة إلى أغراض البيت التي اشتراها لها والدها عند زفافها ؟

٤- إن المرأة أنجبت ولداً منذ عام ونصف فما مصير الإنفاق على الولد ، هل على الزوج بعد المخالعة وإلى متى تظل الأم حاضنة لابنها ؟

٥- ما حكم الخلع في شريعة الإسلام ؟ أفيدونا أفادكم الله .

الجواب وبالله التوفيق :

١- مجرد إعلام الزوج برغبة الزوجة بالمخالعة ، أو إعلام القاضي بذلك ، لا يعتبر هذا الإعلام مخالعة حتى يقبل الزوج عرض الزوجة العوض ، ويقول : خالعتك عليه ونحوه ، أو يحكم القاضي بذلك، فإن قال حينئذ خالعتك على كذا، أو طلقتك على كذا أو نحو ذلك اعتبرت مطلقة من ساعتئذ وعليها أن تباشر العدة من ذلك الوقت .

٢- إذا كرهت المرأة عشرة زوجها ، وعلمت أنها لا تقدر على الوفاء بحقوق الزوجية فلا حرج عليها أن تطلب المخالعة لقول الله تعالى : ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ ، ولإقراره صلى الله عليه وسلم امرأة ثابت بن قيس حين طلبت المخالعة وقالت : ما عبت على ثابت في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام يعني ? تبغضه ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ، قال : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة) . كما أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

ولا يجب عليها حينئذ أن تستأذن لإذن الله تعالى لها في ذلك .

٣- يجوز للزوج أن يطلب أكثر مما دفع لزوجته من مهر ونحوه ، لعموم الآية السابقة التي أجازت المفاداة وم تقدرها بقليل أو كثير، لقصة امرأة ثابت بن قيس السابقة ففي بعض رواياتها : (ولو شاء زدته) ، غير أن هذا لا يليق بالرجل الذي له على المرأة درجة ، والأولى له إن شَحَّ أن لا يزيد على ما بذل ، فإن كان النشوز من قبله كره له أن يأخذ منها عوضاً ، لعموم قول الله تعالى : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظا ﴾ .

٤- أما الحضانة فهي حق الأم مالم تتزوج، وما دامت أهلاً للحضانة ، فإن تزوجت أو فقدت أهلية حضانتها، سقط حقها في الحضانة، وانتقلت إلى أمها إن كانت أهلاً لها، وإلا لأم الزوج أو أخته .

وتستمر الحضانة عند السادة المالكية إلى أن يبلغ الولد قادراً على الكسب، والبنت إلى أن تتزوج ويدخل بها الزوج .
لكن الذي ذهب إليه السادة الأحناف أن الحضانة تستمر للولد إلى أن يستغني بخدمة نفسه فيأكل وحده ويشرب وحده ، وللبنت إلى أن تحيض، وقيل حتى تبلغ أو تشتهى كما في بدائع الصنائع للكاساني ٤ /٤٢ وهو الذي نفتي به في هذه المسألة حيث إن السائل حنفي المذهب .
٥- أما حكم الخلع فهو جائز باتفاق أهل العلم إذا دعت الحاجة إلى ذلك لدلالة الكتاب العزيز والسنة المطهرة عليه، ولكن لا ينبغي طلبه إلا عند شدة الحاجة إليه لما أخرج أبو داود والترمذي من حديث ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أيما امرأة اختلعت من زوجها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة) . ولحديث أبي هريرة عند النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (المنتزعات والمختلعات هُن المنافقات) .
ولذلك لم يذكر في القرآن إلا عند اليأس من الحياة الزوجية، حيث قال تعالى : ﴿ فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله ﴾ . فإذا كانت العشرة بالمعروف قائمة ، فالأولى للمرأة أن تتقي الله تعالى وتصبر . والله تعالى أعلم

الالتزام بقواعد سير المرور واجب شرعاً وعقلاً

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه :
بناءً على توجيهات الجهة المختصة بتنظيم حملة وطنية للسلامة المرورية والتي ستطلق تحت شعار (سلامتنا .. مسؤوليتنا) .
ما حكم الالتزام بقواعد السير والمرور؟ وما حكم تجاوز الإشارة الضوئية والسرعة الزائدة في القيادة وذلك للاستعانة بها في مختلف برامج التوعية والمحاضرات؟

الجواب وبالله التوفيق :
الالتزام بقواعد السير ونظامه واجب شرعاً وعقلاً ، لا يختلف في ذلك علماء الإسلام ، ولا عقلاء البشر ، لما يترتب على الالتزام بهذه القواعد من المقاصد الشرعية ، والمصالح المرعية ، للأفراد والمجتمعات .
ذلك أن من المقاصد الشرعية الحفاظ على النفس والمال، ومن أجل ذلك أوجبت الشريعة كل ما يؤدي إلى الحفاظ على النفس، وحرمت كل ما يؤدي إلى الإضرار بها أو بالمال، وهذه القواعد المرورية العالمية تسعى لتحقيق الحفاظ على هذه المقاصد، فإن من لم يلتزم بقواعد السير يعرض نفسه وماله، وغيره كذلك للخطر، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ [النساء : ٢٩] .
ولا ريب أن الذي يتجاوز الإشارة الحمراء مثلاً أو يدخل في خط السير على آخر أو يتعدى السرعة المخولة ، يكون الخطر به وبغيره محدقاً ، فقد يؤدي به ذلك إلى أن يودي بحياته وحياة غيره ، ويتلف ماله ومال غيره ، وذلك من الضرر الذي منعه الإسلام ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) كما أخرجه أحمد والطبراني والبيهقي من حديث جابر وعائشة رضي الله تعالى عنهما ، والمعنى : أنه لا يجوز إلحاق الضرر بالغير ابتداء ، ولا على وجه المقابلة، بل الضرر يزال من أساسه .
وهذا الحديث من القواعد الشرعية الكلية المطردة التي يدور عليها الفقه الإسلامي ، بل والقانون الدولي ، وانتهاك هذه القواعد يُلحق الضررَ بالنفس وبالغير، وكل ذلك حرام شرعاً ، ويوجب الضمان والجزاء الرادع .
وكما يَحرم انتهاك هذه القواعد لما ذكر من المخالفات الشرعية، فكذلك يحرم لمخالفة ولي الأمر الذي أوجب الله طاعته كما قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] ، فأوجب الله تعالى طاعة ولي الأمر فيما يأمر به مما يحقق مصالح المجتمع ، ويحفظ الحقوق ، ومخالفته في ذلك تُعتبر معصية توجب التوبة والاستغفار ، وتُحل العقوبة التعزيرية الزاجرة التي أعدها ولي الأمر ؛ من حبس أو غرامة أو نحو ذلك .
كما أن في ذلك أذية للغير عند التجاوز أو المضايقة أو الدخول على خطه، وذلك مما لا يرضاه المرء لنفسه، فكذلك يتعين عليه أن لا يرضاه لغيره، فقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله تعالى عنه .
فلذلك كله يتعين على كل إنسان يسلك الطريق أن يلتزم أحكام الطريق ، وينبغي له أن يتحلى بآدابه وأخلاقه ، ولا يستطيل على غيره ، وأن يعطي الطريق حقه كما ندب إلى ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله : (... فأعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه . والله تعالى أعلم .